العدد التاسع

السنة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٥٥

الاشتراكات

	ص
عن سنة كاملة	١٠٠
عن نصف سنة	٦٠
للطلاب وجنود الجيش	
عن سنة كاملة	٨٠
عن نصف سنة	٤٠
عن ثلاثة أعداد	٢٥

يضاف إليها أجرة البريد خارج القطر

ذو القعدة سنة ١٣٧٣

يوليه سنة ١٩٥٤

أنتَ ..

أعجبنى من القصص الرمزية قصة الملك والعسل ... فقد زعموا أن ملكا أراد أن يمتحن عواطف شعبه فاختار ليلة محاق فى وقت شح فيه العسل ، وطلب من الناس أن يضع كل منهم (فنجانا) من العسل فى وعاء ضخم على قمة تل وسط المدينة ، وضرب لهم موعدا بعد منتصف الليل ... فتوافد الناس زرافات ملبين دعوة الملك ، ومع كل منهم (فنجانه) الملىء ، ولكن بعضهم راودته « فكرة » لاتحرمه الذهاب مع الذاهبين ، وتعفيه فى الوقت ذاته من عناء الدعوة وتكاليف التلبية ، فإن العسل غال ، والليل ظلام ، ولا عليه أن يكون كأسه من ماء مادام الوعاء ستملأه كؤوس الآخرين ...

وقالوا إن الملك قصد إلى وعائه مع الصبح ، فوجده كله ماء ، وغاب العسل حين انتظره كل واحد من غيره واكتفى هو بالماء الذى لا عناء فيه ...

هذه القصة على بساطتها ترمز إلى معنى كبير ، وتصور حقيقة الداء الذى تعانيه الدعوة من الناس فى كل مكان .

ربما احتاج الناس قبل سنين إلى من يصرخ فيهم أن أفيقوا وأذكروا الذى عليكم ، ولكنهم الآن غيرهم بالأمس ، وقد أصبحوا يسمرون فى المجالس والمحافل بالحقائق التى جملتها الأحداث والمصائب كفلق الصبح ، فما بالهم يقفون حيث هم ولا يتحركون ، وما بالهم يرون ويسمعون ويقرأون ويعجبون ثم لا يتغيرون ؟ !

إن الأمر لا يعدو شأن الشعب الممتحن فى قصة الملك . . . واكتفاء كل منهم بالماء منتظرا من غيره العسل !

إن الداء يكمن فى الأساس الذى يقوم عليه تفكير هؤلاء وعواطفهم ، فى نقطة البداية فى رؤوسهم ونفوسهم . . . إنهم يقولون إن المسلمين مسئولون ، ومقصرون ، وذلك قول حق ، ويُعملون فكرهم فى تفاصيل المسئولية ونواحى التقصير ، وفى كثير من فكرهم حق وفى كثير منه إحساس كريم ، ولكنه فكر لا يأخذهم إلى نتيجة ، وإحساس لا يكفى وحده ليضع شيئا ، ثم يصير الأمر إلى شكوى من كثرة الكلام وقلة العمل ، ثم تصبح الشكوى من كثرة الكلام موضوعا يتكلمون فيه ، وهكذا دواليك فى حلقه مفرغة . . .

الداء هنا . . . فى كل واحد منهم مهما فكروا ومهما أحسوا ، فى أساس تفكيره الذى يلقى التبعة على المسلمين جميعا وينسى واحدا ، وفى مركز عاطفته التى تتوجع على تقصير الناس جميعاً وتنسى واحدا : نفسه هو . ولو أنه ذكر نفسه فبدأ بها إذاً لوجد الحق ركيزة يعتمد عليها ، وحلقة تشده إلى الواقع الذى لا تغيره الأسمار والأوجاع وحدها . . .

ليس لقائل أن يقول : « إن المسلمين مسئولون » وينسى نفسه ، بل عليه أن يضيف إلى ذلك : « وأنا فى أولهم لأنى عرفت هذا » ثم يبدأ هو . . . و « أنا » فى هذا المقام ليس معناها : أنا فلان ، وليست هى « أنا » السوداء المدمرة التى قالها الشيطان ، ولكن معناها : أنا الذى سأعمل وأبذل وأحترق ، ووراءها فكرة ناضجة وعاطفة طاهرة ، وأمامها فى العمل محراب لا يعبد فيه غير الله . وحين يجد الحق « أنا » هذه فى نفس صاحبها فقد وجد خطوته المباركة فى دنيا الناس ،

واستمع معى إلى قول الله : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » : أمره أن يعلن واقعا قائما لا يدّعيه ، هو بدؤه بنفسه قبل أن يتبعه أحد ، وأردف ذلك بتبرئة هذا البدء من الشرك ، وجعل وراءه البصيرة التى تكفل دائما وحدة الهدف فى الطريق المشرق إلى الله . . .

وفى آية أخرى : « وأنا أول المسلمين » .

وفى آية ثالثة : « وقاتل فى سبيل الله لا تكلَّف إلا نفسك » ، وهنا يبلغ المعنى فى نفسك تمامه حين تذكر أن الذى خوطب بذلك هو الرجل الذى أرسله الله للناس ، وكلفه بدعوتهم ، وعصمه العصمة الكاملة فى كل ما يدعوهم إليه !

أجل . . .

ذلك هو الأساس . . . الأساس الفردى من وراء كل ما شرع الله للناس ، ومن وراء كل ما يمكن أن يصير الناس إليه من خير . . . إن خطاب التشريع فى القرآن هو « يأيها الذين آمنوا » وحين يكون الإيمان مناط التكليف فإن معنى ذلك أن حقيقة الفرد هى أساس البناء ، وأن كل وضع يقوم على غير ذلك تلفيق !

إن المجتمع الإسلامى الأول إنما أدرك كماله فى اجتماعه واقتصاده وسياسته بعد أن استوت قوائمه على النذير الرهيب فى قول الله « إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدًّا وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا » .

وإنك لتشعر حين تقرأ القرآن كله أنه يخاطبك أنت ، وتلفتك زواجره حيثما تنقلت فيه إلى أن الله يراك ، ويسمعك ، ويبصرك ، ولا يعزب عنه شىء من أمرك ، وإلى أن عملك وحده هو الذى ينفعك عنده « كل نفس بما كسبت رهينة » ولا يغنيك معه التعلل بالمعاذير « بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » .

فابدأ أيها المسلم بنفسك ، واعلم أنك مسئول بقدر ما تعلم « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ولا تحاسب غيرك قبل أن تأمن أنت الحساب !

* * *

أما أنتم أيها الدعاة ، فاذكروا أن حقائقكم أنتم هى أساس البناء ؛ فاتقوا الله فى أنفسكم ، ولا يشغلنكم عريض القول عن مواجهة أنفس الناس .

سعيد رمضان

داء المسلمين ودواؤهم

لسماحة الأستاذ السيد محمد البشير الإبراهيمي
رئيس جمعية العلماء بالجزائر

تمهيد :

الباحث فى أحوال المسلمين بحث تقصٍّ واستقراء رجل من اثنين ، رجل من أنفسهم ورجل من غيرهم . وكلا الرجلين يجتمع بصاحبه فى نقطة تبعث الحيرة وهى : كيف يسقط المسلمون هذا السقوط المريع وفيهم كل أسباب الصمود وبين أيديهم كل ما ارتقى به أسلافهم ؛ فأصول الدين من كتاب وسنة محفوظة لم يضع منها شيء ، وأسباب التاريخ واصلة لم ينقطع منها شيء ، واللغة إن لم ترتق لم تنحدر ، والعرب الذين هم جذم الإسلام ما زالوا يحتفظون بكثير من الخصائص الجنسية ومعظمها من المكارم والفضائل ، والأرحام العربية ما زالت تجد من بين العرب من يبلّها ببلالها ، فلم تجفّ الجفاء كله وإن لم توصل الوصل كله ، والتجاوب الروحانى الذى تُردد صداه كلمة الشهادة فى نفوس المسلمين وكلمة التلبية فى جنبات عرفات لم يتلاش تماماً ، والأرحام المتشابكة بين المسلمين لم تجفّ الجفاف الذى يقطع الصلة . ومن السنن الكونية المقررة فى سقوط الأمم وعدم امتداد العزة والرقى فيها أن ينسى آخرها مآثر أولها فينقطع التيار الدافع فيتعطل التقدم . والمسلمون لم ينسوا مآثر سلفهم ، بل هى بينهم مدونة محفوظة مقطوع بها بالتواتر ، بل هم أكثر الأمم احتفاظاً بمآثر السلف وتدويناً لها ، ولا يعرف بين أمم الأرض أمة كتب علماؤها فيما يسمونه الطبقات والسير مثل ما كتب المسلمون فى ذلك .

والباحث الأجنبى معذور إذا تحير ، وقد يخفف عنه ألم الحيرة ابتهاجه بهذا السقوط ، وأن بحثه عن الداء ليس بقصد الدواء ، فقد عودنا كثير من هؤلاء الباحثين الأجانب أنهم لا يبحثون لذات البحث ، ولا يدرسون هذه المواضيع لوجه التاريخ الخالص ، فضلا عن أن نجد عندهم ما يطلب من العالم المخلص ، وهو أن يرمى ببحثه وبإعلان نتائج بحثه إلى تنبيه الضال ليهتدى والمريض ليسعى فى الاستشفاء

والساقط ليأخذ بأسباب الصمود والنهوض ، وإفهامه أن الأيام دول ، وأن من سار على الدرب وصل ، بل نرى أكثرهم يتعمد إضلالنا فى تعليل الأشياء ، كى لا يقف المريض على حقيقة دائه فيغفل مغتراً ، أو يعالج داءه بداء أضر ، أو يضع الدواء فى غير موضعه ، وقد نرى منهم من ينتهى من بحثه بنتيجة وهو أن سبب انحطاط المسلمين هو الإسلام نفسه . . . وإن من يستطب لدائه بإشارة عدوه لحقيق بأن يسمع مثل هذه النصيحة . . .

أما الباحثون فى أحوال المسلمين من المسلمين فهم ينقسمون إلى فريقين — بعد اتفاقهم على أن الجسم الإسلامى مريض وأن مرضه عضال — فريق منهم هدى إلى الحق فعرف أن الجسم الإسلامى لا مطمع فى شفائه إلا إذا عولج بالأشفية القديمة التى صح بها جسم سلفه ، وغذّى بالأغذية الصالحة التى قوى عليها سلفه ، وذلك أنه أقام الدين فاستقامت له الدنيا ، وانقاد إلى الله فانقاد له عباد الله ، وأخذ كتاب الله بقوة ، فمشى على نوره إلى السعادة فى الدارين ، وأرشده إلى أن سعادة الدنيا عز وسلطان ، وعدل وإحسان ، وأن سعادة الآخرة حياة لا نصب فيها ولا نهاية لها ، واطمئنان لا خوف معه ولا كدر فى أثنائه ، ورضوان من الله أكبر .

وفريق منهم ضل عن الحق فى الدواء ، لأنه ضل قبل ذلك فى تشخيص الداء ، وضل من قبل ذلك فى طريقة البحث فتلقاها من أعداء الإسلام زائغة ملتوية ، وضل من قبل أولئك فى أسلوب التفكير ، فهو يفكر بعقل ماتاث بلوثات هذه الحضارة الخاطئة الكاذبة المستمدة من أصول الاستعمار الذى يسقى الأقربين مايرويهم ، ويغذى الأبعدين بما يرديهم ، ثم يجتثهم من أصولهم ولا يلحقهم بأصوله ، ويتركهم متعلقين بأسباب هذه الحضارة مفتونين بها ، مهجورين منها ، وقل ما شئت فى العاشق المهجور ، الذى لا يملك من أسباب الحب إلا القشور ، ولا يملك من أسباب الوصل شيئاً . وقد علمنا من سنن الحب أن أعلاه ما كانت معه كبرياء تزع ، واعتداد بالنفس يأخذ ويدع ، وقوتان إحداها تدلل ، والأخرى تذلل ، أما هؤلاء العشاق المتيمون بحضارة أوروبا وعلومها وتهاويلها فقد فقدوا الشخصية التى تحفظ التوازن فى ميدان العشق وتحفظ لصاحبها خط الرجوع .

هذا الفريق المزور على الإسلام ، الذى لا صلة له به إلا بما لا كسب له فيه كاسمه ولقبه — يرى أنه لا نجاة للمسلمين إلا بالانسلاخ عن ماضيهم ودينهم ، والانغماس فى الحضارة الغربية ومقتضياتها من غير قيد ولا تحفظ ، وهو يعمل لهذا جاهداً ، يُسِرُّه المسر كيداً ، ويعلنه المعلن وقاحة ، وإنك لتعرف ذلك منهم فى لحن القول ، وفى مظاهر العمل ، وفى إدارة الكلام على أنحاء معينة ، وفى البدوات الخاصة ، وفى اللفتات العامة ، حتى لتعرفه فى أسباب معايشهم الشخصية ، ولكنهم يتناقضون ويتهافتون ، فيبتدئون من حيث انتهى سادتهم ، فسادتهم يرون أن اللعب إنما يحلو بعد الجد ، وأن القشور إنما يلتفت إليها بعد تحصيل اللباب ، وأن الكماليات تأتى بعد الضروريات ، وأن الوقت رأس مال لا يجوز تبديده فى غير نفع ، ولكن هذه الطائفة منا تفعل عكس ذلك كله وتختصر الطريق إلى اللهو ، لأنه يروى شهواتها ، وإلى الكماليات والمظاهر لأن لها بريقاً هو حظ العين وإن لم يكن للعقل منه شيء ؛ وإن عصارة رأيهم فى علاج حالة المسلمين تترجم بجملة واحدة ، هى : أن النجاة فى الغرق .

هؤلاء الدارسون لعلل المسلمين منهم هم علة علل المسلمين ، وهم أنكى فيهم من المستعمرين الحقيقيين ، فلقد كان دهاة الاستعمار فى القرن الماضى يباشرون الشعوب الإسلامية كفاحاً ووجهاً لوجه ، صراعاً فى الحرب ، وحكماً فى السلم ، فيمارسون منها خصماً شديد المراس ، قوى الأسر ، متين الأخلاق ، فلم ينالوا منها إلا ما تناله القوة من الضعف ، وهو محصور فى التسلط على الماديات ، أما القلوب والعقول والعقائد والاعتزاز بالقوى والخصائص فلم تستطع قوتهم أن تخضعها ، ولم يستطع سلطانهم أن يمتد إليها ، وهى عناصر المقاومة ، المدخرة ليوم المقاومة ، ولن تجد فيما ترى وما تقرأ أمة قاومت الغاصب فدحرته ولو بعد حين إلا لأن هذه العناصر بقيت فيها سليمة قوية وبقيت هى عليها محافظة ، ولكن أولئك الدهاة أتونا من جهات أخرى ، فهادنونا على دخن ، وحببوا إلينا مدنيتهم من جهاتها القوية ، ثم أعشونا ببريقها ، وابتلونا بما يلائم النفوس الضعيفة الحيوانية من شهواتها ، وقالوا : إن وراء هذه المدنية علماً هو أساسها ، وإن وراء العلم ما وراءه من سعادة ؛ وفتحوا لناشئتنا أبواباً أمامية

يدخلون منها ، وأبواباً خلفية يخرجون منها إلى عالم غير عالمهم الأصلي ، وجاءت البلايا تزحف ، فتقلتها تلك الناشئة تجرى ركضاً ، ودعت الكأس الأولى إلى ما بعدها ، وأصبحنا نتنافس فى تقديم هذا القربان من ناشئتنا للاستعمار ، وما زدنا بسفهنا على أن جهزنا له جيشاً من أبنائنا يقتل فيه خصائصنا وروحانياتنا ، ليقاتلنا به ، وليوليه ما عجز عنه لصعوبة مراسنا وشدة احتراسنا ، وليرجع إلى أهليه مملوء النفس باحترام أستاذه ، مصمم العزم على التمكين له ، وقد كنا لا نحترمه ولا نصادقه ولا نصافيه ولا ندمث له موضع الإقامة .

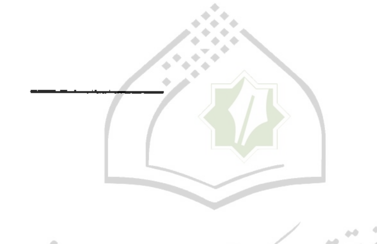
ما هو موقع الغلط فى أبنائنا ؟ إنهم بتعلمهم فى الغرب ، بلغة الغرب ، وبلباسهم لباس الغرب ، وانتحالهم رسومه فى الأكل والشرب ، ظنوا أنهم أصبحوا كالغربيين ، فانسلخوا فى مظاهرهم ومخابرهم عن خصائصهم الأصيلة الموروثة ، فخسروها ولم يربحوا شيئاً ، إذ لم يقع فى تقديرهم أن جل الأحوال التى قلدوا فيها الأوربى هى ألوان إضافية اصطبغ بها بعد أن استكمل وسائل عزه وقوته ، فلا تحسن فى العين ، ولا ترجح فى الوزن إلا ممن وصل إلى درجته ، وقطع المراحل التى قطعها فى الحياة ، وأنهم ظنوا غلطاً فى الفهم أن هذه الحضارةُ غربية ، وأخطأوا فإن الحضارات ليست شرقية ولا غربية ، وإنما هى تراث إنسانى متداول بين الأمم تتعاقب عليه فيزيد فيه بعضها ، وينقص منه بعضها ، ويبتكر بعضها بعض الفروع فينسب إليه ، ويلونها بعضهم بألوان ثابتة فتبقى شاهدة له حتى تضمحل .

إن جل أبنائنا الذين التقطتهم أوربا لتعلمهم عكسوا آية فرعون مع موسى ، ففرعون التقط موسى لينفعه ويتخذه ولداً ورباه صغيراً وأحسن إليه ، فكان موسى له عدواً وحزناً وسخنة عين ، أما أبناؤنا فقد التقطتهم أوربا وعلمتهم وربتهم ، فكانوا عدواً لدينهم ، وحزناً لأهله ، وسخنة عين لأهليهم وأوطانهم ، إلا قليلا منهم دخل النار فما احترق ، وغشى اللج فأمن الغرق .

والسبب فى هذا البلاء هو استعداد فينا كاستعداد المريض للموت ، وشعور بالنقص فى أنفسنا ، لبعد عهدنا بالعزة والكرامة ، ولموت أشياء فينا تصاحب موتها فى العادة يقظة أشياء ، ففقد الإحساس بالواجب تصحبه يقظة الشهوات الجسدية ،

وقوة الإحساس بالواجب هي التي أملت على بعض خلفائنا أن يعتزل النساء كلما همّ بالغزو ، وهي التي حملت كثيراً من قضاة سلفنا على أن يقمعوا شهوتهم الجسدية بالحلال قبل أن يجلسوا للخصوم في مجالس الحكم ، وموت النخوة تصحبها سرعة التقليد وعادة الخضوع للغالب وسرعة التحلل والذوبان .

إن الغرب لا يعطينا إلا جزءاً مما يأخذه منا ؛ ولا يعطينا إلا مايعود علينا بالوبال، وقد أعنّاه على أنفسنا فأصبح المهاجر منا إلى العلم يذهب بعقله الشرقي فينبذه هناك كأنه عقال على رأسه لا عقل في دماغه ، ثم يأتينا يوم يأتي بعقل غربي ، ومنهم من يأتي بعقل غربي ومعه امرأة تحرسه أن يزيغ . . .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

النجوم : بين الغرب والشرق

روى الكولونيل لورنس أنه جلس مرة مع شيخ عربي جليل ، وأفاض في وصف ما يكشفه المرقب من عجائب الفلك . وحين انتهى التفت الشيخ إليه وقال : « أنتم أيها الأجانب ترون ملايين من النجوم ولا ترون شيئاً وراءها ، أما نحن العرب فلا نرى إلا نجوماً قليلة — ثم نرى ربنا ورب هذه النجوم ! »

أخلاق المسلم والمسلمة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

قال الله تعالى : « إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما . . »

١ – روى الإمام أحمد فى مسنده أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرجال يُذكرون فى القرآن، ولا يذكر النساء فنزل قوله تعالى: «إن المسلمين والمسلمات .» إلى آخر الآية الكريمة ، وروى أن التى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليست هى أم سلمة ، وإنما هى أم عمارة الأنصارية ؛ وروى أن السبب أن بعض النساء لما نزل ما يخص نساء النبى سألن عن أحكامهن . وأيًّا كان سبب النزول ، فإن العبرة بما اشتملت عليه الآية الكريمة من أوصاف هى جماع أخلاق المسلمين لا فرق فى ذلك بين ذكر وأنثى ؛ فهى أخلاق أو أوامر مطلوبة من الرجال والنساء على سواء ، فلا يختص الرجال ببعضها ، أو يختص النساء ببعضها ، وإنما هى أخلاق المؤمن والمؤمنة على سواء ؛ لأنها تشتق فى معناها ومغزاها من حقيقة الإسلام ومعناه ومغزاه وهدايته ، وهى لبه ، فلا تختص بجنس دون جنس، ولا بقوم دون قوم، ولا بفريق من الناس دون فريق ، إنما هى أخلاق الإسلام التى تعم ، ولا تخص .

وإن هذه الصفات عشر ، هى : الإسلام ، والإيمان ، والقنوت ، والصدق ، والصبر ، والخشوع ، والتصدق ، والصوم ، وحفظ الفرج من الخنا ، وذكر الله تعالى بالقلب وبالجوارح . والاعتبار أولاً وبالذات للقلب .

٢ – وقبل أن نخوض فى بيان معانى هذه الصفات ، ومنازلها من الإيمان نذكر ملاحظتين :

الأولى : أن هذه الصفات أكثرها قلبي ليس له مظهر خارجي ، وإن كان له مظهر محسوس أحياناً فالعبرة فيه بما في القلب ؛ فالإيمان والقنوت والخشوع والصبر وذكر الله معان نفسية من خواص نفوس المؤمنين تتصل بنفوسهم ؛ والنظر فيها إلى تهذيب النفوس ، وما تتحرك به القلوب ؛ والإسلام والصدق والتصدق والصوم ؛ وحفظ الفروج هي أمور مع اتصالها بالنفس والقلب لها مظاهر حسية سلبية أو إيجابية؛ وعلى ذلك يكون بعضها نفسيا خالصاً، وبعضها نفسي له مظهر عملي . ويلاحظ القارئ للقرآن العظيم أن الله سبحانه وتعالى ذكر بجوار كل صفة نفسية مظهرها الحسي ؛ فالإيمان عمل قلبي مظهره الإذعان الحسي بالإسلام وإعلانه ، والقنوت طاعة قلبية وخضوع نفسي ومظهره صدق الأعمال وصدق الأقوال مع صدق النفس، والصبر والخشوع وصفان نفسيان من مظاهرهما التصدق والصوم ؛ وذكر الله تعالى عمل قلبي من مظاهره حفظ الفروج واجتناب الفحشاء والمنكر ، كما قال تعالى : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر » .

الملاحظة الثانية : أن هذه الصفات متدرجة ، وهي مراتب ، بحيث تكون كل صفة منها مرتبة قائمة بذاتها ، هي ممنا درجة لما قبلها ، فالإذعان الحسي أدنى المراتب وهو الإسلام ، وأعلى منه المرتبة التي تليه ، وهي مرتبة الإيمان ، ثم المرتبة الثالثة ، وهي القنوت بإجابة أوامر الله تعالى وإطاعته ، ثم المرتبة الرابعة ، وهي الصدق في القول والعمل بأن يكون الرجل مهدياً في قوله وفعله ... وهكذا .

٣ — وقد يقول قائل لماذا ذكر الصوم والصدقة ، ولم يذكر الصلاة والحج مع أنهما من أجل أعمال الإيمان ؟ والجواب عن ذلك : أن هذه العبادات المالية أفعال عملية وليست صفات ولا أخلاقا ، وإن كانت تهذب النفوس ، وتدفع إلى التقوى ، ولا تكون الصفات السامية إلا إذا قام الشخص بها ، فلا يكون خشوع أو قنوت من غير صلاة ؛ ولذا قال تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » وإنما ذكر الصوم مع أنه عملي أيضاً ، لأنه باب من أبواب الصبر ، ولأنه ليس عملا إيجابياً إنما هو عمل سلبي ، إذ هو إمساك عن الطعام والشراب .

وفوق ذلك فإن الحج والصلاة قد ذكرا في قوله تعالى : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » لأن الصلاة والحج هما ذكر الله تعالى ، ولهذا قال سبحانه في الأمر

بالصلاة : «اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر» فاقترن بالصلاة تلاوة القرآن ، وذكر الله ؛ فالتلاوة والذكر هما معناها ، والذكر لبها ومغزاها ، وبه تنهى عن الفحشاء والمنكر .

٤ — هذه إشارات بيانية نذكرها ، قبل أن نخوض فى معانى هذه المراتب التى يترتب بعضها على بعض والتى تعتبر كل واحدة منها سلماً للتى تليها .

وأول هذه المراتب هى الإسلام ولذلك ابتدأ سبحانه وتعالى به فقال: «إن المسلمين والمسلمات » والإسلام فى معناه يتلاقى مع الاستسلام لله ، والاستسلام لله فيه هو الإخلاص لله تعالى والاتجاه إليه والانقياد له ، والاستعداد التام لطاعته تعالى فى كل ما يأمر ، وقبول الحق الذى يدعو إليه سبحانه ؛ ومن ذلك قوله تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام : «إذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين » وقوله تعالى « إن الدين عند الله الإسلام » وقوله تعالى « توفّنى مسلماً ، وألحقنى بالصالحين » .

وعلى هذا المعنى يكون معنى الإسلام فى قوله تعالى : « إن المسلمين والمسلمات » الإخلاص : أى طلب الحق فى إخلاص واستعداد للانقياد والطاعة ، وذلك لأن الإنسان فى طلبه للحق ، واتجاهه إليه ، قد يخلص من كل أدران الهوى ووساوس الشيطان ، ويستعد للخضوع الكامل له ، فيطلبه لوجه الله تعالى لا لشىء سواه ، فيقال فى هذه الحال إنه أسلم وجهه لله وللحق ، وقد يطلبه على هواه وغرضه ، وهذا لا يصل إليه ؛ لأن نفسه غير خاضعة للحق لذات الحق ، فإن كان الدليل على عكس ما يريد الشخص كفر وعاند ؛ وغالط الحس ، وكان ممن ينطبق عليه قول الله تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » .

فمعنى « إن المسلمين والمسلمات » أى المخلصين فى طلب الحق والمنقادين له ، والذين يُخضعون أهواءهم لعقولهم ولأوامر ربهم لهم الجزاء الذى أعده سبحانه .

٥ — وإن الإخلاص يجعل النفس تشرق بنور ربها فتتجه إلى الحق وتذعن له وتؤمن به ؛ ولذا قرن سبحانه وصف الإسلام وهو الإخلاص كما بيّنّا ، بوصف الإيمان وهو المرتبة الثانية ؛ فإن من أخلص فى طلب الحق أدركه وآمن به وصدقه ، وأذعن بقلبه ولسانه وكل جوارحه لله سبحانه وتعالى ؛ وقد قال تعالى : « والمؤمنين

والمؤمنات » فالإيمان هنا هو التصديق بالقلب ، وإخضاع كل الأفعال والأقوال لما يوجبه هذا الإيمان ؛ ولذلك لا يكون الإيمان الكامل معه معصية ، لأن الإيمان الكامل يتقاضى المؤمن أن تخضع كل أحاسيس نفسه له ؛ وما من معصية يعصيها الشخص إلا فى غفلة عن الإيمان ، ولذا ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل مَن يا رسول الله ؟ قال ذلك الذى لا يأمن جاره بوائقه » ولقد روى فى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » .

٦ — وعلى ذلك يكون الإيمان الصادق أساساً للأعمال الصالحة، بل إنه لايترتب عليه إلا صالح ، ولذلك يكون من آثار الإيمان الخضوع المطلق والطاعة المطلقة لأمر الله تعالى ، فيكون الإنسان بقلبه وجوارحه وأعماله مطيعاً لرب العالمين ، وذلك هو القنوت ؛ ولذلك قال تعالى فى أوصافهم بعد ذلك « والقانتين والقانتات » والقنوت فى معناه اللغوى هو لزوم الطاعة والخضوع الكامل ، وهذا بلا شك مرتبة ثالثة بعد الإيمان ، والإيمان هو السلم للوصول إليها ، بل إن القنوت الذى يكون بلزوم الطاعة الكاملة ، والخضوع التام هو الصورة الحقيقية للإيمان الكامل ؛ ولذلك وُصف به النبيون فقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : « إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا » وقد قال تعالى : « قوموا لله قانتين » .

٧ — هذه هى المرتبة الثالثة ، ومن ارتقاها سار فى طريق المرتبة الرابعة ، وهى الصدق ، وهذه هى التى بينها سبحانه وتعالى بقوله : « والصادقين والصادقات » والصدق هو الصفة التى إذا استغرقت النفس واستولت عليها صار كل ما يظهر منها من قول أو فعل هو إعلان لحقيقتها ، وما انطوت عليه ، فصدق النفس المؤمنة لا يوجب فقط أن تكون الأقوال صادقة فى نقل الأخبار ، بل يوجب أن يظهر ما كمن فى النفس من قوة الإيمان ظاهرا واضحا للعيان فى الأقوال والأفعال ؛ فالصادق هو من كانت نفسه التقية المؤمنة مكشوفة بينة فى كل مظاهر الحياة ؛ ولذا كان الصدق فى حقيقته والنفاق نقيضين لا يجتمعان ؛ وكان الكذب من علامات النفاق كما قال عليه السلام « آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » وكل هذه الأوصاف لا توجد مع الصدق قط ؛ ولقد قال عليه

السلام: « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، ولايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » ولقد قال الراغب الأصفهانى فى كتابه « الذريعة إلى مكارم الشريعة » : « الصدق التام هو مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا » فالصدق أن تكون حقيقة النفس المؤمنة بادية للعيان وألا يتحرك اللسان إلا بقول الحق الذى يعتقده ، وإن الصدق الحقيقى فوق أنه مظهر النفس المؤمنة هو رياضة لها ، ولذلك كان استمرار الصدق وتحريه طريقا لأن يكون الرجل صديقا ، ولقد قال العلماء إن الصديق هو المرتبة من الناس التى تلى مرتبة النبيين ، ولقد اعتبر الرسول الصدق خلة الإيمان خاصة ، واعتبره طريق الهداية ، فقد روى أنه سئل أيكون المؤمن جبانا فقال قد يكون ، وأيكون المؤمن بخيلا قال قد يكون ، وسئل أيكون المؤمن كذابا فقال الصدوق الأمين لا يكون المؤمن كذابا . ولقد جاء رجل يشكو إلى النبى صلى الله عليه وسلم كبير وزره ، وأنه يرتكب كل الموبقات ، وطلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يهديه لطريق يعالج بها ، فأشار عليه السلام بالعلاج وهو الصدق وترك الكذب ، فوعد الرسول بذلك فكان إذا همت نفسه بمنكر تذكر وعده للنبى صلى الله عليه وسلم بالصدق ، فيمتنع ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم قد يسأله فإن كذب فقد أخلف وعده ، وإن صدق أقيم عليه الحد ، وما زالت تلك حاله كلما هم بمعصية حتى حسنت توبته ، وأقلع عن ذنبه .

٨ — وإن المؤمن إذا قنت لربه ، وصدق فى نفسه وقوله وفعله واعتاد ذلك وتحراه صار فى طريق الوصول إلى مرتبة الصديقين ، وصار أهلا لأن يدافع عن الإيمان بقوله وفعله ، وتهيأت له العدة للدفاع عن الإيمان وأهله ، وتلك العدة هى الصبر ؛ ولذا ذكر سبحانه وتعالى بعد مرتبة الصدق مرتبة الصبر الذى هو عدة الجهاد ، وقوة الجلاد ، فقال تعالى : « والصابرين والصابرات » فالمؤمن يقوى إيمانه فى ذاته ، فإذا بلغ قمته فى القلب وبدا فى الجوارح والأفعال وصل إلى مرتبة النزال فى الدفاع عنه ، وذلك بالصبر . والصبر له نواح عدة ؛ فالاستيلاء على الأهواء والشهوات هو الصبر فى أقوى معانيه ، والجهاد فيه حماية للإيمان فى القلب ، واحتمال الفقر والمرض من غير

تململ ولا تضجر هو من الصبر الجميل ، وهو حماية للنفس المؤمنة من التردى فى مهاوى الحقد والحسد ؛ وهما يقوضان بنيان الإيمان ، ويأتيانه من قواعده ، وتلقى الكوارث والمصائب بجنان رابط ، وقلب مفوض لله العلى القدير هو من الصبر ، وهو ضد الجزع والهلع ، وهما يفقدان المرء الثقة فى الله ؛ ومن فقد الثقة فى الله فقد تهدم فى نفسه أعظم جزء من أجزاء الإيمان ، والتقدم للقاء أعداء المؤمنين والدفاع عن بيضة الإيمان هو من الصبر وهو الشجاعة . وإن وصف الصبر فى هذه الآية مطلق عام ، وفى آيات أخرى أشار سبحانه وتعالى إلى بعض أنواعه فقال تعالى فى أوصاف المؤمنين : « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون» وإن الصبر تبدو قوته عند مهاجمة أعداء الإيمان على النفس من أهواء وشهوات ، أو كوارث ونوازل أو فقر ومرض أو عدو مهاجم متربص ؛ ولذا قال عليه السلام : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » .

٩ — هذه هى المرتبة الخامسة من مراتب الإيمان ، أو المقام الخامس من منازله ، وإنها مع ما سبقها من منازل تؤدى إلى منزلة أعلى منها ، وهى منزلة الالتجاء إلى الله تعالى فى كل ما يعمل الإنسان من أعمال ، وما ينطق من أقوال ، وما تتحرك به الجوارح ، بل ما تجيش به النفس من خواطر ، ولذلك قال تعالى : « والخاشعين والخاشعات » فالخشوع هو الضراعة إلى الله تعالى ، وإنه عمل قلبى له مظهر حسى ، فيحس القلب بقدرة الله القادر فليجأ إليه ، ويظهر ذلك فى كل أعمال الإنسان فيخشع ؛ ولذلك روى فى بعض الآثار « إذا ضرع القلب خشعت الجوارح » ومقام الخشوع هو مقام الخوف من الله ، والإحساس برقابته سبحانه وتعالى وأنه يراه فى كل ما يقول ويعمل ؛ إذ يعلم ما ظهر وما بطن ، وما تخفى الصدور ، وما يجيش فى الأفئدة ، وإن ذلك أعلى مقامات العبودية ؛ ولذلك ورد فى الحديث الصحيح « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

١٠ — هذه منازل نفسية ترتقى إليها متجردة نفس المؤمن تتهدى فيها ، وتصعد من أولاها إلى أعلاها ، ويلى ذلك مرتبة هى مرتبة المؤمن ينفع الناس ، يرد غائلة الجوع عنهم ويكسو عاريهم ويتعاون معهم على الخير ، فليس الإسلام دين التجرد من الدنيا ، بل هو دين التعاون على الخير فى الدنيا ، ونشر البر

والسلام فيها ؛ فإصلاح النفوس المقصد منه إصلاح المجتمع ، وتطهيرها المقصود منه تطهيره ، ولذلك قال سبحانه فى المرتبة السابعة « والمتصدقين والمتصدقات » فمرتبة التصدق ، وهى مرتبة النفع العام يقصد إليه المؤمن هى مرتبة قدسية ، تمهد لها المراتب السابقة ، فالمقصود بالتصدق ليس هو الزكاة فقط ، ولا المقصود منها هو العطاء بالمال فقط ، بل المقصود منها التعاون التام بين المؤمنين ؛ فالكلمة الطيبة فيها صدقة ، والبذرة تلقى فى الأرض فتنبت نباتا صدقة ، ولذا قال عليه السلام : « ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه إنسان أو دابة إلا كتب له به صدقة » — والتأليف بين المتنافرين صدقة ، وإعانة من يكون فى حاجة إلى أى عون صدقة ، ولذا قال عليه السلام : « الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه » وفى لين الجانب وخفض الجناح والرفق فى المعاملة صدقة ، ولذا قال عليه السلام : « المؤمن مألف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وهكذا فليست الصدقة مقصورة على الزكاة أو صدقة الفطر ، إنما هى معنى عام يشمل كل نفع عام يقصد به وجه الله تعالى ، وإن كل صدقة تكفر من السيئات بقدرها ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » وإن جماع التعاون والنفع العام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهما الرباط المقدس الذى يربط بين المسلمين .

١١ — وإن هذه المراتب كلها تتجه بالإنسان إلى السمو الروحى ، وترفع ابن الأرض من الأرض إلى السماء ، ولذلك ذكر سبحانه بعد ذلك المرتبة الروحية العالية ، وهى مرتبة الصوم ، فقال تعالى : « والصائمين والصائمات » فهذا الوصف رمز للتجرد الروحى الذى يتجه إليه المؤمن ، وذلك لأن الصوم تجرد روحى ، إذ أن الشهوات المتحكمة ، وهى شهوة البطن والفرج إذا سيطرت على الإنسان كان الإنسان متهويا إلى الطبيعة الحيوانية فإذا تجرد المرء من هذه الشهوات ، فقد علا عن درجة الحيوان إلى درجة الملك ، وذلك بالصوم ؛ فالإنسان فيه عنصران : عنصر حيوانى يشترك فيه مع الحيوان ، فإن غلب ذلك العنصر كان أقل من البهائم ، والعنصر الثانى عنصر روحى ملكى ، وإن غلب ذلك العنصر كان أعلى من الملك ؛ لأنه وصل إليه بالمغالبة ومنازعة الأهواء والسيطرة عليها وذلك جهاد ؛ وإن الصوم فيه ذلك النزوع الروحى السامى وهو إن أدى على وجهه ، وأعطى حقه كاملا تهذبت النفس وسمت الروح ،

وابتعد الإنسان عن المعاصي ، ولذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع » .

ولأن الصوم مهذب للروح فرض رمضان ، وقد حث عليه السلام على الصوم التطوع ، فعلى كل امرئ تقى أن يلاحظ نفسه فإن لاحظ فيها تسلط الشهوات عليها وتحكمها فيها ، فليعلم أنه بلغ أقصى هبوط الأرضية ، ولا يعلو إلى الروحانية إلا بأجنحة تحلق به من الصوم .

ولقد ذكر عليه السلام أن أفضل التطوع أن يصوم يوما ويفطر يوما ، ولقد كان عليه السلام كثير الصوم ، ولكن لم يعرف أنه صام شهرا كاملا إلا رمضان ، وكان عليه السلام إذا لم يجد طعاما فى بيته ، ولم يكن قد تناول شيئاً أتم صيام يومه ، وهكذا كان عليه السلام يعلمنا طريق العروج بنفوسنا ، ولم يحرم الصوم فى أيام إلا أيام العيدين الفطر والأضحى وأيام التشريق .

١٢ — هذه المراتب علت بالروح الإنسانية واتجهت بها إلى الملكوت الأعلى ، ولكن مع ملاحظة اجتناب المنهيات اجتنابا مطلقا ، ولذلك ذكر مع هذه المرتبة صفة ملازمة لكل المراتب ضرورية لها ، وهى اجتناب المنهيات فقال سبحانه رامزا إلى ذلك المعنى : « والحافظين فروجهم والحافظات » فهذا يرمز إلى الامتناع عن المنهيات كلها ، وهو فوق ذلك يبين مرتبة أخرى لا تقل علوا عن المرتبة الروحية ؛ وهى المحافظة على النسل والإبقاء على النوع ، وذلك بالمحافظة على وعائه والمحافظة على مائه ، فلا يكون الوعاء غير صالح للإبقاء ولا يذهب الماء هدرا ، ولذلك عد الزواج من القربات ، وهو الذى تكون به المحافظة على الفروج ، فليس من النسك والزهادة الروحية الانصراف عن الزواج ، وإن التفاضل بالعبادة لا يكون بتركه ، بل بالإقبال عليه، ولقد قال بعض الزهاد فى أحمد بن حنبل إنه يفضله فى الزهد ؛ لأن له امرأة وأولاداً، ولقد قال عليه السلام لعكاف بن وداعة الهلالى «إن من سنتنا النكاح، ومن رغب عن سنتنا فليس منا ، شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم ، ويحك ياعكاف تزوج »

وعلى هذا التخريج تكون المحافظة على الفروج بالزواج طلبا للنسل ، وهذه مرتبة عالية مع السمو الروحى ، ولا تقل عنها ، لأن تربية الأولاد فيها رياضة للنفس وتهذيب ، وإيثار وجهاد .

١٣ – وهناك مع هذه المراتب حال يجب البقاء عليها واستمرارها ، وهى ذكر الله تعالى : أى تذكره دائما فى القلب ، واستحضاره بأسمائه الحسنى عند الإقدام على كل عمل ، فإن ذلك هو مخ العبادة ولب الدين ، ولذلك قال سبحانه فى ختام هذه الأحوال ، وتلك المراتب : « والذاكرين الله كثيرا والذاكرات » فذكر الله تعالى أكبر العبادات ، وهو الذى يكون الأساس فى خير الأعمال ؛ فلا فضل ولا خير فى عمل إلا إذا كان معه ذكر الله تعالى ، والقصد إلى مرضاته ، فقد روى الإمام أحمد أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المجاهدين أعظم أجرا يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله تعالى ذكرا ، قال فأى الصائمين أكثر أجرا ، قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عز وجل ذكرا ، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج ، كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله ذكرا. فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنه ذهب الذاكرون بكل خير. فقال عليه السلام « أجل » وقد روى الإمام أحمد عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ذكر الله عز وجل » .

وليس ذكر الله هو ذلك التمايل ذات اليمين والشمال ، أو الصياح من غير استحضار لأسمائه الحسنى سبحانه ؛ إنما ذكر الله أن يستحضره القلب ، ويكون فيه دائما ، وأن يترطب اللسان به إن كان يحتاج إليه ليتم استحضاره فى القلب ، وإن ذكر الله فيه العزة ، وفيه العزاء وفيه الاطمئنان « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

وإن أصحاب هذه المراتب لهم الحسنى فى الدنيا ، ولهم الجزاء الأوفى فى الآخرة ؛ ولذا قال تعالى : « أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيما » .

والله سبحانه وتعالى هو المجازى ، ولولا فضل الله ما اهتدينا ، الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله .

بين النصيحة والتشهير

للأستاذ الدكتور مصطفى السباعى

المراقب العام للاخوان المسلمين فى سوريا

ليس منا من لايخطئ ، ولاينحرف عن سنن الحق ، بل إن فينا من الغرائز والطباع ما يميل بنا إلى الرشد والغى ، والخير والشر ، وليس كل إنسان يعرف خطأه أو يهتدى إليه ، وبذلك كان من حق الأخ على أخيه ، أن يبصره بعيبه ، وينصح له فى أمره ، وكما يجب على من رأى الظلم فى حاكم ومسئول ، أن ينكر عليه ظلمه وبغيه ، وجب على من رأى صديقا له يظلم نفسه أو يظلم غيره أن يحول بينه وبين ذلك، إبقاء على حق الأخوة ، ودفعاً للأذى عن صديقه وعن المجتمع . . ويوم يتساهل الناس فى هذا الحق ، فيتملق الصديق صديقه ، ويهمل الأخ حق أخيه عليه فى النصح والإرشاد ، تسوء علائق بعضهم ببعض . . وتنقلب الصداقة إلى عداوة ، ويصبح أمر المجتمع فوضى ، يموج بالشر والإثم . . ولقد أخبر القرآن الكريم أن بنى إسرائيل استحقوا اللعنة والحرمان والتشريد ، لأنهم كانوا لا يتناصحون « لُعِنَ الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه » ولما نزل قوله تعالى : « واتقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة » قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم إذا رأوا المنكر فلم ينكروه » .

وليس أدل على رقى الأمة واستقامة ضمائرها من تمسكها بخلق التناصح فيما بينها : ينصح الأخ لأخيه ، والجار لجاره ، والأب لولده ، والأستاذ لتلميذه ، والموظف لرئيسه ، والمسئول لأمته . . فلا ترى حينئذ إلا حقًّا محترماً ، وفضيلة يعمل بها ، وثقة تربط بين الناس بعضهم مع بعض ، فلاخيانة ولاغش ولا اتهام ولا تجريح . وإذا خلا المجتمع من هذا الخلق ، أو ضعف مظهر العمل به ، فقد انتهت الأمة إلى أسوأ حالاتها من الفوضى والفساد والتقاطع والعدوان . .

وقد اضطربت عند كثير من الناس حدود النصيحة التى يجب القيام بها ،

فانقلب أحدهم من النصح إلى التشهير ، كما انقلب آخرون من المداراة إلى التملق ، وفى ذلك مافيه من شر يربو على الخير ، وحق يستعمل فى باطل . .

حين لا تجدى النصيحة أو ينشأ منها ما هو أكبر ضرراً وأكثر سوءاً ، يتحتم عليك أن تدارى من تنصحه ، حتى يستقيم حاله ، وتواتى الظروف الصالحة لنصحه ووعظه . . وهذا هو حد المداراة . . أما أن تنقلب إلى مشجع على الشر ، متظاهر لمن يعمله بالتأييد ، فهذا هو التملق الذى يمقته الخلق الكريم ، وتأباه آداب الشريعة وأخلاقها . . هنالك فرق بين أن تأتى لحاكم طاغ مستخف بإرادة الأمة وكرامتها ، فتزين له طغيانه ، وتغريه بالاستمرار فى عتوه وفجوره . . وبين أن تسكت عنه وهو فى عنفوان قوته ، وأنت يائس من صلاحه ، عسى أن تواتيك الفرصة فيما بعد لتجهر له بالنصيحة ، وتدله على طريق الخير . . ذلك تملق وهذه مداراة . . والتملق خسة وجبن ، والمداراة تعقل وحكمة . .

والنصيحة على مراتب : أولها أن لانبادر إلى تصديق مايقال عن جارك أوصديقك أو أحد مّا من الناس ، بل تتثبت فى ذلك حتى تستيقنه ، فإن الناس اعتادوا إشاعة السوء ، والجماهير دائما أسرع إلى إساءة الظن من إحسانه . . فلا تصدق كل مايقال ولو سمعته من ألف فم ، حتى تسمعه ممن شاهده بعينه ، ولا تصدق من شاهد الأمر بعينه ، حتى تتأكد من براءته وخلوه من الغرض والهوى . . ولذلك نهانا الله عن الظن ، واعتبره إثما لايغنى من الحق شيئا « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم » . . « إن الظن لايغنى من الحق شيئا » .

وإذا رأيت أمراً أو بلغك عن صديقك كلام يحتمل وجهين ، فاحمله محملا حسنا ، وأنزله منزلة الخير ، فذلك ألصق بالأخوة ، وأجدر بمكارم الأخلاق ، قالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان أجود قريش فى زمانه : مارأيت قوما ألأم من إخوانك ! قال لها : مه ! ولِمَ ذلك ؟ قالت : أراهم إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت تركوك ، فقال لها : هذا والله من كرم أخلاقهم ، يأتوننا فى حال قدرتنا على إكرامهم ، ويتركوننا فى حال عجزنا عن القيام بحقهم . . فانظر كيف تأول طلحة صنيع إخوانه معه ، وهو ظاهر القبح والغدر ، بأن اعتبره وفاء وكرما . .

وثانى خطوات النصيحة .. أن تقدر طباع الناس وغرائزهم ، وأنهم ليسوا ملائكة ولا أنبياء ، فلاتطمع أن لا تمتر على زلة أوهفوة لأحد من إخوانك ، ولكن احمل ذلك على الضعف الإنسانى الذى لا يكاد يخلو منه أحد ، وعلى الغرائز التى لاينجو من سلطانها إلا الأقلون..وانظر أنت فى نفسك ، ألا تقع فى مثل تلك الزلات؟ فلماذا تريد من الناس مالا تجده من نفسك ؟ ولعمرى ماأجمل قول شاعرنا العربى :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

بل ما أروع قول الله تبارك وتعالى فى وصف النفس الإنسانية على حقيقتها حين يقول على لسان امرأة العزيز : « وما أبرئ نفسى ، إن النفس لأمّارة بالسوء إلا مارحم ربى » .

فإذا ذكرت ذلك ، كنت إزاء خطأ من صاحبك تذكره بالصواب فيه ، لا إزاء عيب تزدريه من أجله وتنتقصه بسببه . .

قال الشافعى رحمه الله : « ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ، ولا أحد يعصى الله ولا يطيعه ، فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل » .

هذا والله هو الفقه والعلم والحكمة ، التى لايقف عليها إلا أطباء النفوس .. وأكمل الناس وأورعهم وأقواهم دينا وأكثرهم لله خشية ليس هو الذى يزدرى العصاة ، ويحتقر المذنبين ، ويرى لنفسه ميزة عليهم بتقواه وعبادته .. وإنما هو من يرحم الناس ، ويشفق على الخاطئين ، ويعذرهم فى نفسه ، ويتقدم إليهم بالنصح كطبيب يعالج مريضاً ، وهل رأيت طبيبا يحتقر مريضاً أو يزدريه أو يترفع عليه ؟! .

وصلى الله على معلم الناس الخير حين قال : « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »

وثالث خطوات النصيحة .. أن لاتحاكم الأمر الذى تريد إنكاره وتحكم عليه بالخطأ والانحراف ، من وجهة نظرك فحسب ، بل انظر إليه من وجهة نظر صاحبه أيضا ، فقد يكون مجتهداً فيما اعتقد من رأى ، متحريا الخير فيما سلك من سبيل ، فلا تسارع إلى الإنكار عليه ، مادام من الممكن أن يكون له وجه من الحق ، ودليل

من الرأى .. ومن قبيل هذا مايقوله الفقهاء ، من أن العمل أو الرأى ، إذا كان له تسعة وتسعون وجها تقتضى التكفير ، ووجه واحد لا يقتضى التكفير ، نأخذ بهذا الوجه الواحد ، ونمتنع عن تكفير صاحبه . ومن هنا قرر العلماء أن من شروط النهى عن المنكر ، أن لا يكون محل اجتهاد وخلاف بين العلماء ، أو أن يكون منكراً فى نظر من يفعله .. فإن لم يتحقق فيه هذا الشرط ، لم يجز الإنكار ، وما ذلك إلا لأن إنسانا ليس من حقه أن يسيطر على عقيدة إنسان أو رأيه ، أو يزعم أن رأيه أصوب الآراء ، واجتهاده هو الحق الذى لا باطل معه .

ورابع خطوات النصيحة . . أنك إذا تأكدت من الخطأ والانحراف ، وليس هناك مجال لعذر ، أو شبهة ، وجب أن تتقدم بالنصيحة إلى من تنصحه ، سرًّا بينك وبينه ، لا أمام الناس ، ولا على ملأ من الأشهاد ، فإن النفس الإنسانية ، لا تقبل أن يطلع أحد على عيبها . إنك إذا نصحت أخاك سرًّا بينك وبينه ، كان أرجى للقبول وأدل على الإخلاص ، وأبعد عن الشبهة . وأما إذا نصحته علناً فإن فى ذلك شبهة الحقد والتشهير وإظهار الفضل والعلم ، وهذه حجب تمنع من استماع النصيحة والاستفادة منها . . ولقد كان من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إنكار المنكر أنه إذا بلغه عن جماعة ، ما ينكر فعله ، لم يذكر أسماءهم علناً ، وإنما كان يقول : « ما بال أقوام يفعلون كذا » فيفهم من يعنيه الأمر أنه هو المراد بهذه النصيحة . . وهذا من أرفع أساليب النصح والتربية يدلنا عليها المربى الأكبر محمد صلى الله عليه وسلم . .

قال رجل لعلى رضى الله عنه أمام جمهور الناس .. يا أمير المؤمنين : إنك أخطأت فى كذا وكذا ، وأنصحك بكذا وكذا . . فقال له على : إذا نصحتنى فانصحنى بينى وبينك ، فإنى لا آمن عليك ولا على نفسى ، حين تنصحنى علناً بين الناس .

وقيل لمسعر : أتحب من يخبرك بعيبك ؟ فقال : « إن نصحنى فيما بينى وبينه فنعم ، وإن قرعنى بين الملأ فلا » وهذا حق ، فإن النصح فى السر حب وشفقة ، والنصح فى العلن انتقاص وفضيحة .. وهذا هو قول الشافعى رحمه الله : «من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه » .

خطب المنصور مرة يذكر الناس بطاعة الله ومجانبة معاصيه، فقام إليه رجل فقال : أنت يا أمير المؤمنين أولى بأن تذكّر بطاعة الله واجتناب معاصيه ، فاتق الله وحاذر غضبه . . فقال المنصور : والله ما أردت بهذه النصيحة وجه الله ، ولكن أردتَ أن يقال بين الناس : قام إلى أمير المؤمنين فنصحه . . فهذا من المنصور تنبه لخفايا النفس وشهواتها ، وأن الورع والزهد والنصيحة والجرأة فى الحق . . قد يكون شهوة من شهوات النفس كما تشتهى النفس طيب الطعام وجيد اللباس . .

أما الذين يشهرون بعيوب الناس ، ويهتكون حرماتهم فى المجالس ، بحجة النصح والجهر بالحق ، فذلك جهل بدين الله شائن . . وتلك هى الغيبة التى نهانا عنها الله ورسوله . . وليست النصيحة إلا أن تذكر أخاك إذا أخطأ ، وتنصحه إذا انحرف ، وليست الغيبة إلا أن تذكره بما يكره وهو عنك غائب . .

نعم إذا نصحت إنسانا مرة بعد مرة ، واستمر فى إثمه ومخازيه ، وكان ممن يؤتم به أو يستمع لقوله ، جاز لك أن تذكر للناس ما هو عليه للتحذير من اتباعه . لا للتشهير به شخصياً ، فإن التشهير لا يجوز فى حالة مّا ، مهما كان الباعث على ذلك . إن لك أن تنكر الفعل ، لا أن تشهّر بالفاعل . . وقد علمنا الله ذلك حين قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : « فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون . . » أمره أن يتبرأ من عملهم لا منهم أنفسهم ، وليس هو إلا لكراهة التشهير بالناس ، تشهيراً يؤدى إلى العداوة والبغضاء ، ويزيد فى الفرقة والشحناء . .

وخامس خطوات النصيحة . . أن لا تؤدى النصيحة إلى شر أكبر مما تريد إنكاره ، كإيقاع الفتنة ، وإيغار الصدور ، وازدياد المعصية ، وتفرقة كلمة الجماعة ، فإن هذه أمور يلحق شرها الكبير والصغير ، والصالح والطالح . . ولا يجوز لإنكار عمل فردى أن تقع فى منكر يعم ضرره الجماعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام لبنيت الكعبة على قواعد إسماعيل ، ولجعلت لها بابين ، بابا يدخل منه الناس ، وبابا منه يخرجون » فهذا امتناع عن إصلاح فى وضع البيت ، خشية أن يؤدى إلى فتنة الناس فى دينهم . . وهذا هو الفقه فى دين الله ، أن لا تزيل الشر بما هو شر منه ، وأن لا تدفع الضرر الأدنى بالأعلى ، وأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

فإذا استوت لك هذه الخطوات ، ورأيت النصيحة واجبة ، كان عليك أن تؤديها برفق وحكمة وأسلوب لا ينفر مَن تنصحه ، ولا تبدو به أنك متعال عليه ، معلم له ، وإلى هذه الآداب أرشدنا الله بقوله « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ولقد قالوا فى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه ما كان يواجه أحداً بشىء يكرهه . ذلك أن النصيحة إذا خرجت عن الرفق واللين ، كانت غلظة وقسوة تنفر القلوب ولا تفتحها ، وتبعد الناس عن الخير ولا تقربهم إليه . .

* * *

أما بعد ، فهذا حديث النصيحة فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى آدابها وشروطها ، بعد أن اشتجرت المداوات ، وكثرت الخصومات ، وساءت التهم ، وأفرطت الأقلام والألسنة فى النقد بحق وبغير حق ، فهل لنا أن نطمع من الناقدين أن يقفوا عند حدود الحق فيما ينقدون ؟ وهل لنا أن نرجو الناصحين أن يبتعدوا عن مجال الشبهة فيما ينصحون ؟ إن من السهل أن تقول لإنسان أخطأت . . ولكن من الصعب أن تقول له : إنك خنت وأجرمت وسرقت وخربت . لقد مرت بنا فترات كانت فيها أعصاب الشباب تدفعنا إلى اتهام خصومنا فى الرأى بمثل هذا ، فاللهم نشهدك أنا رأينا بأعيننا خطأ ما فعلنا ، ولمسنا بأيدينا نتيجة ما أفرطنا . . واللهم ألهم حملة الأقلام وكتّاب الصحف وخطباء المنابر أن يقولوا ما يصلح الفساد ، ويقوم الانحراف ، لا ما يزيد الصفوف فرقة والقلوب عداء .

لو انفض الناس جميعاً من حولى واهتزت شعرة منى فقد كفرت بالله .

« الشعرانى »

الانحراف عن العقيدة

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٤)

فى الثقافة والتعليم

نريد بالعقيدة فى هذه الكلمات ، كما قلنا من قبل ، العقيدة باعتبارها معتقدا نفسيا تطمئن إليه النفس ويمتلئ به القلب ؛ أى سواء أكانت عقيدة دينية مصدرها الوحى ، أم عقيدة سياسية أو اجتماعية . وسواء فى ذلك عقيدة الفرد ، أو عقيدة الجماعة من الناس ، أو عقيدة هيئة من الهيئات الرسمية أو غير الرسمية التى تلى أمراً من أمور الأمة .

وثقة الأمة بنفسها وماضيها وحاضرها ، عقيدة من العقائد التى لا تقوم الأمة إلا إذا آمنت بها إيمانا لا يخالطه شك أو ريب ، فإن البناء فى الحاضر والمستقبل لا يمكن أن يقوم ويقوى إلا على أسس قوية ذاهبة فى الأعماق وثابتة الدعائم والأركان . فإذا فقدت الأمة من الأمم هذه الثقة بماضيها وقوميتها ومقوماتها ، أو تزلزلت فيها هذه الثقة ، فقد آذنت بضعف لا قوام لها معه ؛ ومن ثم يكون بدء التأخر والتبعية لغيرها من الأمم فى أكثر شئونها ، ثم الرضى بهذه التبعية الخطرة المهينة .

نقول هذا بمناسبة ما نحسه جميعاً من أعراض هذا المرض الذى نخشى أن يراه البعض عضالا ، وما نلمسه من فقدان الثقة بنا — باعتبارها جنسا وأمة — بماضينا ، واعتزازنا بكل ما نعرفه عن أمم الغرب الناهضة القوية اليوم ، بعد ما كانت كما نعرف بالأمس فى عهد العرب الزاهر المجيد .

إن شباب الأمة فى المدارس الثانوية ، بل فى الجامعات ، لا تكاد كثرتهم الكاثرة تعرف شيئا ذا غناء عن الإسلام ومجده ، وما كان للمسلمين من أثر لا يقادر قدره فى إقامة صروح العلم والحضارة التى قامت عليها حضارة الغرب فى العصر الوسيط وعصر النهضة ؛ وكان من ذلك أن أصبحت هذه الكثرة الكاثرة لا تعتقد أن العرب والمسلمين كانوا شيئاً فى التاريخ ، أو يستطيعون أن يكونوا يوما من الأيام من قادة العالم وموجهيه إلى حياة العز والمجد والكرامة .

ونظن أن هذا الذى نقول لا يحتاج إلى دليل ، فهو واقع ملموس يلقانا من هنا ومن هناك ، ومع هذا فلنذكر دليلا واحداً نعتبره حاسما فى الموضوع ؛ وهو دليل يدل على مقدار عدم اكتراثنا أحيانا كثيرة بما يجىء من الواحد منا معشر العرب والمسلمين ، وعلى مقدار احتفالنا بما يجيئنا فى الموضوع نفسه أو المسألة نفسها عن الغربيين .

والأمر أنه جرى منذ أسابيع حديث طويل ، بينى وبين أحد إخواننا وزملائنا المحترمين بكلية الحقوق ، عن مدى فضل أوربة فى كثير من النواحى العلمية وبخاصة فى علم « القانون الدولى العام » ، ولم أستطع إقناعه بما كان لفقهاء المسلمين وعلمائهم فى هذه الناحية ، وذلك رغم ما سقته من أدلة واضحة وشواهد ثابتة ترينا اهتمام فقهاء المسلمين بالقانون الدولى ، وأنه على الأقل كانت لديهم فكرة واضحة عن هذا العلم ، وأن هذه الفكرة دعتهم لتقرير كثير من القواعد التى تقوم عليها العلاقات بين المسلمين وغيرهم من الأمم والدول الأخرى .

ثم افترقنا أخيراً عن غير اقتناع من جانب زميلى المحترم . ولكن ، شاء الله أن يجىء الدليل لما كنت أقول من جانب بعض علماء القانون الدولى من الأوربيين ، فكان هذا الدليل قاطعاً وحاسماً فى رأيه ! ذلك بأن هذا الدليل ورد إلينا من أوربة ، فلابد إذاً من الإيمان به والانحناء له !

وهذا الدليل الحاسم لأنه « وارد أوربة » ، جاءنا فى صورة رسالة دورية موجهة من « جمعية الشيبانى للقانون الدولى » إلى الجامعة ، وقد بلغتها الجامعة إلى جميع أعضاء هيئة التدريس بالكلية ، وقد جاء فى هذه الرسالة فى أولها ما يأتى بنصه :

« عرف الباحثون الأوربيون اسم الفقيه المسلم الإمام محمد بن الحسن الشيبانى (الذى عاش بين سنتى ١٣٢ هـ — ١٨٩ هـ) من مؤلفه كتاب « السير الكبير » ، بعد أن طبعت ترجمته إلى التركية لأول مرة عام ١٨٢٥م ، ولم يتردد المؤرخ والمستشرق النمسوى الذائع الصيت «هامر فون برجستال» إذ ذاك أن يلقبه باسم « هوجو جروتيوس المسلمين » . وإن كل من يدرك مقدار الإكبار الذى يُكنّه علماء القانون فى أوربا للعلامة « هوجو جروتيوس » ، بوصفه أبا القانون الدولى ، ليستطيع أن يتبين مدى المكانة العالية التى يضع فيها هذا التعبير مؤلفات الإمام محمد الشيبانى . وقد زادت الدراسات الحديثة فى الفقه الإسلامى شهادة العلامة النمسوى الكبير تأييداً ، ودلت على أن الإمام الشيبانى خليق بأن يأخذ مكانه الحق بين رُوَّاد القانون الدولى العالميين ، على أن هذه الدراسات لم تستطع أن تجذب اهتمام جمهور كبير من المشتغلين بالقانون .

« لذلك رأت طائفة ، ممن تبينوا أهمية هذا الأمر ، أنه من المستصوب ، بَلْهَ من الضرورى ، أن تعمل على تأسيس « جمعية الشيبانى للقانون الدولى » ، وهى الجمعية التى يشرفنى أن أكتب باسمها بوصفى سكرتيراً مؤقتاً لها ، وقد قُصد بفكرة الجمعية أن تكون على غرار « جمعية جروتيوس » البريطانية ذات الشهرة العالمية » .

ثم أخذ الكاتب بعد ذلك ، فى التعريف بهذه الجمعية وأغراضها والغاية التى يجب أن تعمل لها ، وفى طلب الانضمام إليها ومعاونتها على ماقصدت إليه بكل الوسائل ومنها ترجمة مؤلفات الشيبانى وغيره من فقهاء المسلمين فى هذه الناحية إلى اللغات الأخرى « بغية استكمال المؤلفات العالمية الرئيسية فى الموضوع ، وتشجيع القيام ببحوث فى التعاليم الإسلامية والفقه الإسلامى فى القانون الدولى والعمل على نشرها لفائدة أكبر قدر ممكن من القراء فى جميع أرجاء العالم » .

هذا هو الدليل الحاسم الذى أقنع زميلى الفاضل بما كنت أقول ، ونحن لهذا نحمد لهؤلاء العلماء أعضاء « جمعية الشيبانى للقانون الدولى » إيمانهم بالحق بعد أن عرفوه ، وعملهم المشكور على إذاعته بكل سبيل . وأكاد أوقن أنه لو كان أجمع المسلمون فى مصر وغير مصر على المطالبة بتأسيس هذه الجمعية هنا ، ما كانوا ليجدوا

سيما لهم من الرسميين وأشباه الرسميين فى وزارة المعارف والجامعة ! وليس هذا إلا عرضاً من أعراض هذا الداء الوبيل ، داء عدم الثقة بنا وبأمتنا وتاريخنا وحضارتنا ، والله المستعان ! .

إن اللوم فى ذلك لا يقع على ناشئة الأمة وشبابها الذين يصدفون عن معرفة الإسلام وحضارته ومقدار ما يمكن أن يؤدى من خير للعالم كله ، بقدر ما يقع على الذين تولوا تربية هؤلاء الشباب ممن ولوا وزارة المعارف وأمور الجامعة فيما مضى ! وقد قلنا فى كلمة نشرت لنا منذ قليل فى بعض المجلات الأسبوعية المحترمة إن أستاذاً جامعياً فى الاقتصاد ، صار له مركز مرموق فى هذه الأيام ، قال لى فى حديث طويل عن الإسلام وحضارته : ماذا أدى الإسلام للعالم من خدمات فيما مضى ، وماذا يمكن أن يؤدى من خير فى الحاضر والمستقبل من الزمان ! .

واذكر أنه فى اجتماع لنا باللجنة الوزارية لوزارة الشئون الاجتماعية ، وهى من لجان مشروع السنوات الخمس التى صدر بها قرار من مجلس الوزراء ، كنا نبحث فى الضمان الاجتماعى ، فتقدم أحد معاونى اللجنة من موظفى الوزارة الذين نالوا قدراً من الثقافة الأمريكية يقول بأن أحسن ما يمكن الرجوع إليه فى هذه الناحية هو ما سارت عليه « جواتيمالا » — وكان هذا البلد غير معروف معرفته لنا بعد أن قامت فيه الثورة الحالية التى لم تنته بعد — ثم أخذ يتحدث طويلا عن هذا النظام ، وبعد أن انتهى من حديثه العجيب ، قلت له ولكن يا أخى هذه مبادئ وأصول قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، وبينت هذا الذى قرره الإسلام ، فكان أن سكت عن اقتناع أو استحياء ! .

وبعد ! يجب أن نكون صرحاء ، وأن نتعرف الأسباب أو العلل الأولى لما نشكو منه من أدواء ، وأن نعمل بعد هذا على استئصال هذه الأسباب والعلل من أصولها ، وسبيل هذا — فى ناحية الثقافة والتربية والتعليم — أن تقوم وزارة المعارف والهيئات الرسمية بالجامعة بمصر وغيرها من البلاد العربية والإسلامية بواجبها كاملا غير منقوص ، وعلى القادرين الأتقياء من أبناء الأمة المعاونة فى هذا السبيل .

يجب أن نعترف بالفضل لذويه ، فلا ننكر ما فى علوم أوربة وحضارتها من

خير وإن كان مشوباً بغير قليل من ضروب الشر وألوانه ، ولكن علينا قبل هذا أن نعرف الإسلام وحضارته معرفة حقة ، وسبيل هذا تقرير دراسة هذه الحضارة وتاريخ العلوم فى الجامعة على الأقل ؛ وبذلك تؤمن الناشئة بالإسلام وحضارته ، وبالعرب وأمجادهم ، وبما قدموا من خير للإنسانية ، وبما يمكن أن يقدموه من هذا للعالم فى الحاضر والمستقبل .

إننا حين ندرس تاريخ العلوم الرياضية ، نعرف فضل المسلمين فى الرياضيات على مختلف نواحيها ؛ فهم أول من عرفوا « للصفر » قيمته فى العدد ، وأول كتاب نرى فيه هذا الصفر كما نرسمه الآن هو كتاب عربى ظهر عام ٢٧٤ هـ مع أن أول أثر هندى ظهر فيه الصفر كان بعد ذلك بعامين ، ومن ثم عرف العالم بأسره فيما بعد « الصفر » عن العرب .

و « الجبر » علم عرفته أوربة عن العرب ، بفضل محمد بن موسى الخوارزمى صاحب كتاب « الجبر والمقابلة » أيام الخليفة المأمون العباسى ، حتى إن اسم هذا العلم فى اللغات الأوربية ينم بوضوح عن أصله العربى ، فهو « Algébre » فى الفرنسية مثلا .

وكان للعرب فضل نقل الهندسة اليونانية إلى أوربة ، بعدما عدّلوا منها وزادوا فيها ، حتى لقد أخذها عنهم العالم الغربى وظلوا يتدارسونها كما عرفوها عنهم إلى أواخر القرن السادس عشر الميلادى .

وإننا حين ندرس تاريخ علم الجغرافية ، نعلم أن العرب تحققوا أن الأرض كروية ، وأقاموا الأدلة عليها مع ما نعلمه من أن « الكنيسة المسيحية » كانت تعاقب العقاب الغليظ المميت من ذهب إلى كروية الأرض من علماء الغرب . وفى كروية الأرض يقول ابن خرداذبة المتوفى عام ٨٨٥م — كما نقل الأستاذ العقاد فى كتابه أثر العرب فى الحضارة الأوربية — إن الأرض مدورة كتدوير الكرة ، موضوعة فى جوف الفلك كالمحّة فى جوف البيضة .

وإن العرب هم الذين قدروا على القيام بقياس صحيح لمحيط الأرض يقرب

مما نعرفه اليوم ، وكان هذا بطريق علمى صحيح ، كما عرفوا اختلاف النجوم فى أحجامها ، وأبعادها وأن الأرض أصغر كثيراً من الشمس .

وإننا حين ندرس تاريخ الطب بمختلف فروعه ، نعلم يقينا أن أوربة ظلت معتمدة زمنا طويلا على كتب المسلمين ، ومن أشهرها كتاب «القانون» لابن سينا ، وكتاب « الحاوى » للرازى اللذان ترجما فى القرن الثانى عشر ، حتى لقد بقيت مؤلفات هذين المفكرين الكبيرين هى المرجع الأول بجامعة « لوفان » إلى أوائل القرن السابع عشر .

ثم كان المرجع الأكبر فى أوربة فى الجراحة ، وبخاصة جراحة العظام ، هو القاسم خلف بن العباس من الأندلس وذلك بكتابه : «التعريف لمن عجز عن التصريف» وقد نشر هذا الكتاب الخطير باللاتينية فى القرن الخامس عشر .

وحين ندرس تاريخ العلوم الطبيعية ، ندرك يقينا فضل أبى على محمد بن الحسن البصرى المعروف بابن الهيثم ، ومن مؤلفاته الخالدة كتاب « المناظر فى البصريات» ، فعلى كتب هذا العالم والمهندس والرياضى الكبير كان اعتماد الأوربيين فى هذه الناحية بعد أن نقلت إليهم .

وإذا درسنا تاريخ علم الكيمياء ، أو الصنعة كما كان يسميه العرب ، نعلم أثر كيمائيي العرب الأعلام ، وبخاصة « جابر بن حيان » ، وذلك برغم شك بعض المستشرقين فى الكتب التى تنسب إليه ، فإنها على كل حال لأحد علماء العرب الأمجاد .

حين ندرس القرآن والسنة النبوية وسير الخلفاء الراشدين ومن إليهم ، نعلم كذلك أن الإسلام هو الذى قرر فى حزم وقوة مبادئ « الحرية والإخاء والمساواة » فليست هذه المبادئ من صنع الثورة الفرنسية كما يزعم الجاهلون . وحسبنا دلالة لهذا نصوص القرآن نفسه ونصوص السنة نفسها، ثم قول عمر بن الخطاب : « لِمَ تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ » ، وذلك فى حادث معروف .

وحين ندرك بعض ما أتى به القرآن ، وكذلك السنة ، من حقوق لأعضاء الأسرة بعضهم على بعض ، وبخاصة حقوق الوالدين على أبنائهم ، يخجل أناس

أشاروا هذه الأيام بما سموه : « أسبوع الأم » نقلا عن أمريكا ! كأن الإسلام بحاجة للتمريف بما يجب للأم من حقوق ورعاية !

هذا ، وليس ما أشرنا إليه من فضل العرب على العلوم والحضارة ، فى الشرق والغرب معاً ، إلا قطرة من بحر ، ونعرفه من المراجع الأولى التى عنيت بتأريخ العلماء والفلاسفة والمفكرين المسلمين (مثل طبقات الأطباء لابن أبى أُصَيْبِعة ، وإخبار الحكماء بأخبار الحكماء للقفطى المصرى) ، كما نعرفه أيضاً مما كتب علماء الغرب أنفسهم .

ولعل أفضل وأجمع البحوث التى ظهرت أخيراً فى هذه الناحية باللغة الفرنسية ، هو كتاب المستشرق الإيطالى : «ألدُومْييلى » ، وعنوانه بالعربية : « العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى » . وقد عرف المغفور له العلامة الأستاذ أحمد أمين قيمة هذا الكتاب حين أطلعته عليه ، فأشار على وزارة المعارف بنقله للعربية ، وكان أن قمت — باسم الوزارة — بهذا العمل مع زميلى وصديقى الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار ، وهو هذه الأيام فى سبيله للطبع والنشر بعد أن فرغنا من ترجمته ومراجعته بفضل الله تعالى .

* * *

وأخيراً ، إن على القائمين بأمور التعليم بمصر وغير مصر من البلاد العربية والإسلامية أن يقوموا حقاً بواجبهم كاملا غير منقوص فى هذه الناحية ، ناحية العمل على إعادة ثقة أبناء العروبة والإسلام بدينهم وحضارتهم وأمتهم وقوميتهم ، ولن يكون ذلك ممكناً إلا بالعناية بالحضارة الإسلامية وتاريخها وقيمتها فى مختلف النواحى ، وليس كثيراً علينا إن طالبنا بإنشاء كرسى فى كل جامعة من الجامعات العربية والإسلامية لهذه الدراسة العالية التى لابدّ منها .

ولكن علينا قبل هذا ، أن يعنى القائمون بتدريس العلوم ، بأوسع ما تحويه كلمة علم من معنى ، فى المعاهد والكليات بالتقديم لدراسة كل علم بشىء من تاريخه الحقيق ، وأعتقد أن هذه الأمنية اتخذها قراراً المؤتمر العلمى العربى الذى حضرناه صيف العام الماضى بالإسكندرية .

إنه بهذا أو ذاك ، نؤمن من جديد بحضارتنا وقوميتنا وديننا ، ثم بأنفسنا وحاضرنا ومستقبلنا ؛ وفى ذلك الخير كل الخير ، والله يهدى إلى سواء السبيل .

بين قوتين

للإمام الشهيد حسن البنا

[وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] .

* * *

وهكذا كُتب على الإنسان أن يواجه قوتين ، وأن يجاهد فى ميدانين :

« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

ذكرت الآيات الكريمات :

« هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » .

فوقفت أمامها لحظات قصيرة أدركت فيها سر الحياة ، وعرفت منها ما قدِّر للإنسان فيها أن يلقاه ، فإذا هو ممتحن بقوتين ، موزع بين عاملين ، مجهَّز لطريقين ، تجذبه مشاعر الخير إلى السمو ، وتهوى به دوافع الشر إلى الحضيض ، وعليه أن يستلهم ربه ، وأن يستفتى قلبه ، وأن يستخدم نعمة السمع والبصر والفؤاد ، وأصول الوحى والكتاب والرشاد ، ليفلح ويفوز فى ميدان الجهاد :

« وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » .

وما ذكر الإنسان فى القرآن إلا ونوازع الشر به أقوى تعلقاً وأشد لصوقا ، وصفات البشرية أظهر فيه وأقوى وضوحاً . وإنما يتطهر منها دائماً بالتهذيب ، ويقوى عليها بالعلاج ، ويسمو بدوام المجاهدة ، ويزكو بالإيمان والعمل ، وذلك قول الله تبارك وتعالى فى آيات :

« وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ — إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ — إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ — إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ — قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . . » .

من الناس من يستهويه الشيطان ، وينسى من نفسه معنى الإنسان ، ويهوى به الحنين إلى طينته ، فإذا زلّ سكن إلى زلته ، ولم يستطع أن يفيق من غفلته أو ينهض من كبوته ، فتحق عليه الكلمة ويهلك مع الهالكين :

« وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ » .

ومن الناس من إذا ضل وغوى أو زلّ وهوى ، ذكر الله فأفاق ، وتنبهت عوامل الخير فى نفسه فأناب ، وأسرع بالتوبة يصل بها ما أمر الله به أن يوصل ، ويغسل بها أدران الذنوب والآثام . ولقد علم الله من الإنسان ضعفه ، فيسر عليه السبيل فى جهاده ، وفتح له باب الإنابة على مصراعيه ، وناداه فى محكم كتابه :

« يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ » .

فهذا الصنف ، الذى لا تذهب بلبه الآثام ، ولا تطيش بحلمه الأوهام ، إذا عصى ذكر ، فتاب واستغفر — جزاؤه المغفرة والمثوبة :

« وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ! ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ! » .

فإذا ألف الأنسان الجهاد ، وعرف طريق الرشاد ، وأصبح جندياً مدرباً ومحارباً للشر مجهزاً ، وواظب على المراقبة والاستثمار ، والتوبة والاستغفار ، استطاع أن يستثمر الأمر قبل وقوعه ، فيتخذ له أهبته ، ويرد على الشيطان مكيدته ، ويكون من الذين قال الله فيهم :

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ » .

بل إن هذا المعنى ليتأكد فى نفسه حتى يصبح صفة لازمة له تيئس منه الشيطان، وتدخله سرادقات الحماية من قول الله تبارك وتعالى :

« إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » .

بل إن الشيطان ليفرق من رؤيته ويفر من خشيته ؛ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول لعمر رضى الله تعالى عنه : « ما رآك الشيطان سالكا فجاً إلا هرب منك » .

هذا ، أيها الأخ ، ثمرات الجهاد النفسانى فى ميدان الحياة الإنسانية ، حياة الابتلاء والامتحان ، فماذا أنت صانع ؟ هل تقعد مع الغافلين فتكون من الهالكين، أم تكافح مع المجاهدين فيكون كتابك فى عليين ؟ وهما مقامان لا ثالث لهما :

« فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى : فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى » .

فتخير لنفسك وتذكر قول ربك :

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » .

الأسس الروحية في الإسلام

ضمن نطاق الأسرة

لفضيلة الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق السورية

من المقرر فى الإسلام أنه يبنى عقيدته وتعليماته وتوجيهاته على أساس أن الحياة البشرية لا تصلح إلا بالاعتماد على ناحيتين اثنتين يجب التلاؤم بينهما ، وهما الناحية المادية والناحية الروحية معاً .

فإذا طغت المادية ساقت المجتمع إلى الفساد والطغيان والدمار . وإذا طغت الروحية قعدت بالمجتمع عن التقدم والتعمير والابتكار والازدهار .

وفى هذا المعنى جاء قول القرآن : « وابتغ فيما آتاك اللهُ الدَّارَ الآخرة ، ولا تنسَ نصيبك من الدُّنيا ، وأحسن كما أحسنَ اللهُ إليك ، ولا تبغِ الفسادَ فى الأرض إن اللهَ لا يحبُّ المفسدين » ٢١/٧٧ ، وفى هذا المعنى أيضاً ما يروى عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام : « اعمل لدنياك عمل امرئٍ يرجو أن يعيش أبداً ، واعمل لآخرتك عمل امرئٍ يخشى أن يموت غداً »[1] .

وعماد الناحية الروحية فى الإسلام ثلاثة أمور :

١ — عقيدة بالله تعالى خالق الكون وبوحدانيته وبرسله جميعاً وباليوم الآخر حيث الثواب على الإحسان ، والعقاب على الإساءة ، والحياة الثانية الخالدة .

٢ — عبادة تضمن استمرار صلة الإنسان بالناحية الروحية وتذكيرَ الإنسان بخالقه وبموقفه الأخير لديه كى لا تستمر به الغفلة عن الله تعالى ، فتستحوذ عليه الشهوات الفاسدة والأطماع الخبيثة ومغرياتها .

---

(١) سنده من حيث اللفظ ضعيف وقد روى أيضا نحوه بسند ضعيف فى حديث لعبد الله بن عمرو بلفظ « فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً ، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً » . لكن معناه يؤيده نص القرآن وقواعد الشريعة .

٣ — إخلاص فى العمل بحيث يعمل الإنسان بجد واجتهاد فى الناحيتين الروحية والمادية مكتسباً ومنشئاً ، رئيساً أومرءوساً ، لايبتغى بعمله واجتهاده إلاالقيام بالواجب الذى يتوقف عليه إصلاح الحياة مجرداً عن الأهواء والأنانية ، خاضعاً للحق محاسباً نفسه على انحرافاتها وتقصيرها بحيث يكون دائماً من نفسه على نفسه رقيب . وهذا ما يسمى بالتقوى .

وبناء على ذلك يوجب الإسلام إصلاح حال الفرد روحياً لأنه أساس إصلاح الأسرة ، كما يوجب إصلاح الأسرة لأنه أساس صلاح المجتمع .

وهذا يفسر لنا ظاهرة مهمة هى أن الإسلام قد حاط الأسرة بالتعليمات الروحية منذ التفكير بتكوينها ورافقها بهذه التعليمات بعد تكونها وفى سائر مراحل نموها حتى انحلالها .

أولاً : مرحلة اختيار الزوجة :

فى تعاليم الإسلام نرى التوجيه الروحى وتأسيسه فى الأسرة قبل تأسيس الأسرة فعلا ، أى منذ اختيار الزوجة ، فاختيار الزوجة فى نظر الإسلام هو حجر الأساس فى مستقبل حياة الأسرة : فإما أن يكون هذا الحجر متيناً محكم الوضع والتأسيس فيساعد على بناء جو الأسرة بناء محكما ؛ وإما أن يكون العكس فيكون سوء اختيار الزوجة سبباً فى انهار بنيان الأسرة أو توهنه . ولذلك أعطانا الإسلام مقياساً روحياً لاختيار الزوجة الصالحة ، ولم يترك هذا الاختيار للهوى والغرور ، والشهوة العمياء والمقاييس المادية الصرف ؛ لأن هذه المقاييس المادية هى أولاً عوامل وقتية لا تلبث أن تزول ، وهى ثانياً عوامل ناقصة غير كاملة ؛ فإذا أقيم عليها كيان الأسرة يوشك هذا الكيان أن يكون بؤرة شقاء وفساد .

وإليكم ما جاء به الإسلام فى هذا المقياس الروحى لاختيار الزوجة :

(ا) مهد القرآن لهذا الاختيار برسم معانى الحياة الزوجية الكاملة لكى يُعرف مقياس الاختيار الذى يوصل إليها ويحققها ، فجاء فى القرآن العظيم بياناً لآلاء الله تعالى وفضله فى هذا الشأن : « ومن آياته أن خلقَ لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجَعل بينكم مودة ورحمة » .

فاختيار الزوج زوجه من رجل أو امرأة يجب أن يكون مقياسه كاشفاً عن الصفات الشخصية التى تحقق لـكل من الزوجين حياة تتحلى بهذه المعانى الروحية الـكريمة ويتجلى فيها جوهرها ومظهرها .

(ب) ثم جاء بيان الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جانب القرآن ، يضع النقط على الحروف ، وينير طريق الاختيار المنتج ، فيبين للرجال كيف يختارون زوجاتهم بقوله : « تُنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين » (متفق عليه) .

وهكذا أوصى النبى عليه الصلاة والسلام راغبى الزواج أن ينظروا إلى دين المرأة التى سيختارونها رفيقة لحياتهم قبل كل صفة أخرى . فإذا اجتمعت إلى دين المرأة تلك المزايا الأخرى من مال وجمال ، فذلك غاية المطلوب . أما إذا انفردت وتوزعت تلك المزايا فليكن الترجيح لمزية الدين والخلق ، لأنه هو العنصر الثابت الضامن للحياة الزوجية الـكاملة .

والموضوع كما لا يخفى موضوع توجيه وترجيح لا موضوع تحتيم وتحريم . فالمرأة التى لا تـكمل فيها هذه المزية الدينية يجب أيضاً أن تجد زوجاً . وزوجها يجب أن يعطيها من المعانى الدينية الروحية ما ينقصها . ولـكن من الطبيعى المعقول أن يختار الإنسان ابتداء ما هو أصلح عندما يكون متمكناً من الاختيار ، لأنه أقرب طريقاً وأضمن توفيقاً .

روى الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال توجيهاً لأصحابه :

« من سعادة ابن آدم ثلاثة ، ومن شقوته ثلاثة : من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة ، والمسكن الصالح ، والمركب الصالح ، ومن شِقوة ابن آدم المرأة السوء ، والمسكن السوء ، والمركب السوء » .

وهكذا نجد أن النبى عليه السلام قد رسم منهاج اختيار الزوجة ، وهو منهاج روحى يعتمد المعانى والمقاصد الدينية أساساً ومقياساً .

وإلى جانب هذا التوجيه الإيجابى أتى الإسلام بتنبيه سلبي ، فحذر الرجال من اختيار المرأة الجميلة المظهر إذا كانت فاسدة المنشأ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إياكم وخضراء الدِّمَن » فقيل له : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ فأجاب : « المرأة الجميلة فى المنبت السوء »[١] .

والدِّمْنة فى اللغة هى البقعة التى تتراكم فيها الأقذار . شبَّه النبي الجميلة الفاسدة بالمرج الأخضر الذى تحته مزبلة ، فكما لا يصلح مثل هذا المرج أن يكون منزلا صحيحاً صالحاً ، لاتصلح المرأة الجميلة الفاسدة أن تكون أساساً لحياة زوجية صالحة .

وهكذا فى ظل هذا التوجيه والتنبيه الروحيين ، ومقياسهما الدينى يأمر الإسلام الرجل أن يفتش عن المرأة الصالحة عند زواجه ، كى لا يكون فى مستقبل حياته الزوجية أمام مشكلات مُريبة ونتائج مريرة ، يقال له فيها بلغة اليوم : فتش عن المرأة !

وكما وجه الإسلام الرجل هذا التوجيه الروحى فى اختيار الزوجة وجَّه المرأة وأهلها توجيهاً أشد وأقوى فى اختيار الزوج .

وعلى هذا جاء التوجيه النبوى يأمر أمراً ويعلن فى غير هوادة ويحذر وينذر ، إذ يقول النبي عليه السلام فى هذا الصدد توجيهاً لأولياء النساء : « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض »[٢] . فنى هذا الحديث وأمثاله ينهى النبي الناس عن أن يعتصموا بالتقاليد العرفية الجوفاء الضارة ، فيضنوا ببناتهم عن الخاطب الصالح إذا لم يكن غنياً أو وجيهاً ، وينتظرون الخاطب الغنى أو الوجيه فيلقى لديهم ترحاباً وتفضيلا ولو كان ملحداً أو جهولا ، ترجيحاً للشهرة على الدين والخلق . وفى مثل هذا يقول القرآن : « ولَعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » .

ثانياً : مرحلة الحياة الزوجية :

ثم يأتى دور تطبيق التوجيه الروحى فى حياة الأسرة بعد مرحلة اختيار الزوجين.

(١) سنده ضعيف ، لكن معناه موافق لقواعد الشريعة .

(٢) حديث حسن .

وفى هذه المرحلة يرسم القرآن غاية الحياة الزوجية وخصائصها فى الآية التى سلف استشهادنا بها فى المرحلة الأولى وهى قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » .

وفى هذه المرحلة أيضاً يقول النبي عليه الصلاة والسلام : « إن أحدكم ليؤجر (أى يثيبه الله) حتى فى اللقمة يرفعها إلى فم امرأته » .

وهكذا نرى أن سكون النفس إلى النفس واطمئنانها إليها وأنسها بها فى جو من التواد والتراحم ، مشبع بالحنان ، مظلل بالحب والإيمان ، يتعاون فيه الزوجان على البر والتقوى وتوجيه الحياة إلى سبيل الله وإنشاء ذرية صالحة مؤمنة هو فى الحقيقة خصائص الحياة الزوجية الصالحة ، ومميزاتها فى نظر الإسلام .

وفى ظل هذا المعنى الروحى فى البيت الزوجى أيضاً يأمر الإسلام المرأة بطاعة الزوج فى غير معصية الله ؛ إذ من المبادئ المقررة فى الإسلام ما أعلنه الرسول عليه السلام بقوله : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

وفى ظل هذا المعنى الروحى فى البيت الزوجى يأمر القرآن الزوج أن يأخذ أسرته بعبادة الله تعالى ولا يشغلهم كسب الرزق وهمه عن هذه العبادة ، ويمده بأن حسن العبادة هو مجلبة الرزق ومصلحة الخلق ، إذ يوجه الإنسان إلى مراقبة الله وإحسان العمل والإخلاص فيه ، فيكتسب الإنسان الثقة . وهذه الثقة أكبر رءوس الأموال الجالبة للرزق والربح ؛ فيقول القرآن : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » .

وفى هذه المرحلة من حياة الأسرة أيضاً يبين الإسلام حدود رئاسة المرأة فى بيت الزوجية ويلقى على عاتقها مسئولية دينية أمام الله تعالى عما تحت رئاستها ورعايتها ، ككل مسئولية يحملها راع عن رعيته ، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » إلى أن قال : « والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها » .

وقد أوضح النبي عليه السلام فى أحاديث توجيهية أخرى أن سعى الإنسان على

عياله فى العمل والاكتساب هو كالجهاد فى سبيل الله ، وأن كل بر وملاطفة من أحد الزوجين للآخر ، بنية امتثال أمر الله فى توطيد المحبة والوئام الزوجى هو كالعبادة فى أجره وثوابه ولو كان فيه حظوظ شخصية وملذات ما دام الزوجان فى ظل الفكرة الروحية ، يفكران فى استباحة ما أباحه الله ، والوقوف عند حدوده التى حدها .

تربية الأولاد :

ثم تأتى قضية تربية الأولاد وتوجيههم كثمرة للحياة الزوجية . فإذا كانت الأسرة هى المصنع الأساسى للأفراد ، نرى الشريعة توجب على كلا الزوجين نحو الأولاد فى الناحية الروحية واجبين :

١ — توجيه الأولاد وجهة الدين وتعويدهم منذ الصغر على عبادة الله تعالى ، وغرس عقيدة الإيمان فى نفوسهم منذ نعومة أظفارهم ، كى ينشأوا والإيمان ومراقبة الله واليوم الآخر ملء نفوسهم ، كما تأمر الشريعة الأبوين بتطبيق المبادئ الأدبية الشرعية المتعلقة بالجنس على الأولاد فى سن مناسبة من الوعى قبل البلوغ . وفى ذلك يقول النبى عليه السلام : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

والقصد هو أن ينشأ الطفل على ممارسة الناحية الروحية وتطبيق المبادئ الأدبية قبل سن التكليف كى لا تكون مفاجأة غريبة شاقة عليه فى سن التكليف .

٢ — تعليمهم ما يحتاجون إلى تطبيقه عملياً فى حياتهم من أحكام العقيدة الدينية والعبادات والواجبات الخاصة والعامة : أى المعلومات الدينية والتوجيهات الروحية ، مما يسمى اليوم بالتعليم الدينى لقول الرسول عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم[1] » .

وكل واجب يحتاج إلى مساعدة الحكومة من هذه النواحى الروحية فهو واجب على الحكومة أيضاً أن تيسر أسبابه للأسرة ، نظير هذا التعليم الدينى اليوم للناشئة ؛ لأن هذا التعليم الدينى لا تستطيع اليوم كل أسرة أن تحققه على انفراد لناشئتها ،

(١) فى سنده ضعف لكن متنه تؤيده نصوص كثيرة فى الكتاب والسنة الثابتة وقواعد الشريعة المستنبطة منهما ، ونصوص الفقهاء .

بل يجب أن يكون جزءاً من برامج التعليم العامة التى هى بيد الدولة فى معظم الممالك ؛ وذلك لكى لا ينفصل التعليم العام عن التوجيه الروحى لأن العلم إذا مشى وحده كان سلاحاً خطراً ذا حدين ينفع من جهة ويضر من أخرى ، إذ يمشى الإنسان عندئذ فى طريق المادية والغرور والأنانية فيكون العلم بيده أداة يسخرها لبلوغ أكبر قدر من المطامع والشهوات وإرضاء الهوى والأنانية ، فيصل إلى الإباحية متى فارق الطريق الموصلة إلى الله ، فيصبح بعلمه المجرد عن التوجيه الروحى ذئباً أو شيطاناً بدلاً من أن يكون إنساناً مصلحاً يبنى خيراً وينشر إحساناً .

وفى هذه المرحلة الثانية يأتى موضوع واجب الأولاد فى بر الوالدين وطاعتهما وهو من أهم نواحي المبنى الروحى فى حياة الأسرة فى نظرى ، ويعتبر واجباً دينياً وأدبياً على الولد نحو والديه فى مقابل واجباتهما نحوه ؛ والمبدأ الإسلامى فيه هو ما أعلنه القرآن بقوله : « ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً » ١٦/١٥ وقد قرنه القرآن بعبادة الله فى قوله : « وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً » وهذا الواجب الإسلامى على الولد المسلم يستوى فيه ما لو كان والداه مسلمين أو غير مسلمين . ففى حق الوالدين غير المسلمين جاء قول القرآن خطاباً للولد : « وصاحبهما فى الدنيا معروفاً » .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثالثاً : مرحلة انفكاك الزوجية :

قد يتعذر استمرار الحياة الزوجية بين ركني الأسرة : الزوج والزوجة لسبب ما ، ويميل الوضع بينهما نحو قصد الانفصال ، وقد أعلن القرآن المبدأ الذى يجب أن يكون هو الحاكم فى بقاء العلاقة أو إنهائها بين الزوجين فقال : « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » وقال : « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » . على أنه فى حالة الميل إلى التسريح (الطلاق) حذر الإسلام تحذيراً روحياً منه كى لا يستعمل إلا عند اليأس من الإصلاح ، فقال الرسول عليه السلام : « ما أحل الله حلالا أحب إليه من النكاح . ولا أحل حلالا أبغض إليه من الطلاق » [1] .

---

(١) سنده ضعيف لكن معناه موافق لقواعد الشريعة .

وأوصى القرآن الرجال بصورة خاصة أن يتحملوا من نسائهم ما يمكن احتماله دون أن يلجأوا إلى الفراق لأدنى سبب ناسين الواجب والمودة التى أسستها الحياة الزوجية بينهما فقال : « ولا تنسوا الفضل بينكم » وبشّرهم على هذا الاحتمال بحسن النتيجة من الله فقال : « وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

هذا عرض إجمالى للأسس الروحية فى الإسلام لحياة الأسرة ومنها يتبين أن الإسلام يهتم بهذا التأسيس فى الأسرة اهتماماً كبيراً يحيط بها من قبل تكونها إلى انحلالها ؛ لأن هذا المبنى الروحى فى الأسرة هو — كما أسلفنا بيانه — أساس للتوجيه الروحى الضرورى فى حياة البشر فى تكوين الفرد وبناء المجتمع .



واصبر نفسك . . .

صبر النفس مع الذين يمثلون روحانيتها تمثيلا دائماً بالغداة والعشىّ ، وعلى نور الحياة وظلامها يريدون وجه الله الذى سبيله الحب لا غيره من مال أو متاع ، وتقييد العينين بهذا المثل الأعلى كما يكون الأمر فى الجمال والحب ، والربط على الإرادة كيلا تنفلت فتشفّ إلى حقائر الدنيا المسماة — هزءاً وتهكما — (زينة الحياة الدنيا)

تلك والله هى أسباب السعادة والقوة ، أما المصائب كلها فهى إغفال القلب الإنسانى عن ذكر الله .

« الرافعى »

خاطرة :

مع السلف

كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يقول : « من عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله . أما بعد ، فقد ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمة من غير مشاورة منى ولا إرادة ، يعلم الله ذلك . فإذا أتاك كتابى فاكتب إلىّ بسيرة عمر بن الخطاب فى أهل القبلة وأهل العهد ، فإنى سائر بسيرته إن الله أعاننى على ذلك والسلام »

فكتب إليه سالم : « من سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز ، أمير المؤمنين. أما بعد ، فإنك كتبت إلى تسألنى تذكر أنك ابتليت بما ابتليت به من أمر هذه الأمة من غير مشاورة ولا إرادة ، يعلم الله ذلك . تسألنى أن أكتب لك بسيرة عمر وقضائه فى أهل القبلة وأهل العهود ، وتزعم أنك سائر بسيرته إن الله أعانك على ذلك . وإنك لست فى زمان عمر ولا فى مثل رجال عمر . فأما أهل العراق فليكونوا منك بمكان من لا غنى بك عنهم ، ولا مفقرة إليهم ، ولا يمنعك من نزع عامل أن تنزعه أن تقول : لا أجد من يكفينى مثل عمله ؛ فإنك إذا كنت تنزع لله وتستعمل لله ، أتاح الله لك أعوانا وأتاك بهم . فإنما قدر عون الله للعباد على قدر النيات ، فمن تمت نيته تم عون الله له ، ومن قصرت نيته قصر عون الله له ، والله المستعان والسلام »

* * *

لقد نقلتنى هذه الصفحة نقلة هائلة إلى عالم آخر . . . إلى الحياة التى حكمتها تلك النماذج الإنسانية الرفيعة من أمثال سالم وعمر ، وطويت الكتاب خاشعا وفى عينىّ دموع ، لست أدرى أهى دموع القلب الخافق لجلال هذا السلف ، أم هى دموع الأسى على الجهل والصغار والغفلة التى أصابت المسلمين !

الشرق العربي

من حرب عالمية إلى أخرى

للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

(٢)

كانت ثورة مصر إذن عام ١٩١٩ — كما قدمنا — الشعلة الأولى التي أضاءت في جنبات الشرق العربي لتنير سبيل الحرية ، وتحيي الأمل في قلوب المجاهدين ، ولتلفح أيضاً بنارها وجوه المستعمرين . ولقد كانت ثورة طبيعية لم يسبقها تدبير : تعبيرا بليغا عن إيمان شعب قويّ بحقه ، وصيحة مدوية في أذن الاستعمار أشعرته بروعة الحق وأعلنت استنكار عدوانه وغدره ، وأقامت الدليل على أن أمة متحدة الإرادة صادقة العزم تستطيع ، ولو كانت عزلاء ، أن تتحدى دولة مدججة بالسلاح خرجت مزهوة من حرب انتصرت فيها على أعدائها . ونشأت عن ظروف مصر الخاصة : منذ أن اغتنمت إنجلترا فرصة الحرب ففرضت على مصر «الحماية» ثم أصرت بعد انتهائها على أن تبقيها وتجعلها نظاما دائما . فلم تكن للثورة صلة بالأحداث التي كانت تجري في سائر الأقطار العربية في ذلك الوقت ، فيما عدا أنه كانت تجمع بينها صفة مشتركة ، وهي أنها كلها كانت أعمال كفاح ضد المستعمر الأوربي الذي أراد أن يجعل الشرق العربي ميدانًا لعدوانه ، وبقيت مثلا ملهما للشعوب التي ستلجأ إلى جهاد هذا المستعمر ، من أجل نيل حقوقها .

كانت ظروف الشعوب العربية الأخرى مختلفة عن ظروف مصر : فإنها نظراً لبقاء ارتباطها مع الدولة العثمانية إلى وقت الحرب ، وما عانت من مُر التجارب من

الأتراك المتعصبين لقوميتهم ، وما قاست من الويلات إذ ذاك — كان شعورها بالسخط على تلك الدولة شديدا . فلما واتت فرصة الحرب ، وجد قادة الرأى فيها أن الوقت قد حان لرفع نير الحكم التركى ، وتحقيق الأمل الذى طالما حلموا به : وهو إنشاء دولة عربية متحدة كبرى ، تمتد حدودها من جبال طوروس شمالا إلى المحيط الهندى جنوبا ، ومن حدود إيران شرقا إلى البحر الأبيط المتوسط غرباً . وتألفت الجمعيات السرية من أحرار العرب فى الشام والعراق مثل « العربية الفتاة » و « العهد » و « الإصلاح » وغيرها ، وكانت « دمشق » قلب الحركة العربية . وحين فكر « الحسين » فى القيام بحركته اتصل بواسطة ابنه « فيصل » بتلك الجمعيات ، وسجلت الوثائق التى تبادلها مع ممثلى الحلفاء أن هدف تلك الحركة هو تحقيق المثل الذى وضعه قادة العرب نصب أعينهم : ألا وهو توحيد البلاد العربية واستقلالها .

وقد صرح الحلفاء ، على لسان إنجلترا ، بأنهم مؤيدون لتلك الخطة ، وأعطوا تعهداتهم الأكيدة بأنهم سيعملون على تنفيذها عقب الحرب . ومن أجل هذا خاض كثير من رجال العرب القتال ملتفين حول راية الحسين ، إلى جانب الحلفاء ، وقدموا لهم من المساعدات — ماديا وأدبيا — ما ذلل لهم العقبات فى طريقهم ، وما مكنهم من الانتصار على الأتراك ، الذين كانوا يشعرون — كما دونوا ذلك فى وثائقهم — أنهم يحاربون فى أرض معادية ! وقد شهد زعماء الحلفاء ، من سياسيين وحربيين ، بهذا الفضل للعرب ؛ ولم يحاولوا أن يجحدوه .

تطلعت الشعوب العربية إذن عقب الحرب إلى تحقيق تلك الآمال ، وانتظروا وفاء « الحلفاء » بعهودهم . وقد أصبح الملك « حسين » ممثلا لهم ، وعقدوا الآمال على مساعيه وجهود ابنه الأمير « فيصل » ، لحمل الحلفاء على الشروع فى إنجاز ما وعدوا به . وكان آخر وعد بذلوه هو مذكرتهم التى أعلنوها فى ٨ نوفمبر ١٩١٨ ، وقد جاء بها : « إن السبب الذى من أجله حاربت فرنسا وإنكلترا فى الشرق تلك الحرب التى أهاجتها مطامع الألمان إنما هو لتحرير الشعوب التى رزحت أجيالا طوالا تحت مظالم الترك تحريرا تاما نهائيا ، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالى الوطنيين لها اختيارا حرا . ولقد أجمعت فرنسا وإنكلترا

على أن تؤيدا ذلك بأن تشجعا وتعينا على إقامة هذه الحكومات والإدارات الوطنية فى سورية والعراق . . . »

ولكن جيوش الحلفاء ، وقد انتهت الحرب ، بقيت محتلة لأراضى العرب : لسورية ولبنان وفلسطين والعراق ، التى دعوها فى المذكرات الرسمية « أرض العدو المحتلة » . وقال الزعماء إن هذه إجراءات مؤقتة ، إلى أن يتم الاتفاق على النظم التى ستتبع فى «مؤتمر الصلح» وكان هذا المؤتمر سينعقد فى باريس فى أوائل عام ١٩١٩ .

وصل « فيصل » إلى أوربا فى أواخر عام ١٩١٨ على رأس وفد الحجاز ممثلا لوالده وليتكلم باسم العرب ، فلاقى من « فرنسا » عنتا ، إذ أساءت استقباله ، وعارضت فى أن يحضر مؤتمرالصلح بدعوى أن الحجاز لم يكن — أى بالرغم من اشتراكه الفعلى فى القتال — أحد الدول المحاربة ! وتبين له على الفور مدى الفرق بين الأمل والواقع المرير ، وبدأت تتكشف له رويدا — وكان قليل الخبرة فى ذلك الوقت — حقيقة الأوربيين وطبيعة الاستعمار . فلم يُقبَل فى المؤتمر إلا بعد ضغطٍ من إنجلترا . هذا فى الوقت الذى قُبل فيه وفد « الصهيونيين » الذين لا يمثلون أية دولة ، بدون عناء بل بكل ترحيب ، وفى نفس الوقت أيضا — وهذا على طريق المقابلة — الذى حيل فيه بين وفد مصر — الدولة الكبيرة التى كان عدد سكانها اثنى عشر مليونا — وبين حضور المؤتمر . فاعتقل زعماؤها ونفوا إلى « مالطة » ، وسفكت المدافع الإنجليزية دماء المصريين فى طرقات القاهرة وغيرها ، لأنهم طالبوا أن يسمع صوتهم فى مؤتمر « السلام » !

وافتتح «المؤتمر» فى يوم ١٨ يناير ١٩١٩ ؛ ولم يكن يُقصدمن حضور «فيصل» المؤتمر ، منذ البداية ، إلا أن يكون شكليا . فبالرغم من أنه سمح له — بتوسط الرئيس « ولسن » — أن يعرض قضيته فى يوم ٦ فبراير — وكان الضابط الإنجليزى « لورنس » مترجمه فى المؤتمر — فإن المؤتمر لم يفعل له شيئاً ، سوى أن قرر فى يوم ٢١ مارس إرسال لجنة دولية للتحقيق واستفتاء السكان ! .

ووجد « فيصل » عند زيارته للندن وباريس أن نية إنجلترا وفرنسا — وهما الدولتان اللتان كانتا مسيطرتين على المؤتمر — منعقدة على تنفيذ اتفاقية

« سيكس — بيكو » ، بعد انتهاء المساومات التى كانت دائرة بينهما ؛ وهى تلك التى تقضى باقتسام أقطار الشرق العربى بينهما ، وذلك بعد خروج روسيا إذ كانت قد انسحبت من الحرب عقب ثورتها فى العام السابق لانتهاء الحرب . كما أن إنجلترا كانت ملتزمة أيضا ، بالاتفاق مع حليفاتها ، تنفيذ وعد « بلفور » الذى يرمى إلى تحويل «فلسطين» إلى أرض يهودية . وقد حملت إنجلترا الأمير — بتأثير «لورنس» الذى كان فيصل منقادا له كل الانقياد — حملته على أن يوقع مع « وايزمان » على اتفاقية اعترف فيها بوجاهة الأمانى الصهيونية وصرح بعطفه عليها ، ووعد بالتعاون مع الصهيونيين فى المستقبل — وإن كان قد اشترط أن ذلك رهن بتحقيق آمال العرب ، غير مدرك ما بين الهدفين من تناقض صارخ ! وغير متبين ما فى مشروع الصهيونيين من خطورة على فلسطين والبلاد العربية كلها . وبذلك انتهت مهمته فى أوربا فعاد إلى سورية فى آخر أبريل ١٩١٩ ، وأخذ يهيء الجو لحضور اللجنة التى قرر مؤتمر الصلح إرسالها .

ولكن إنجلترا وفرنسا نقضتا قرار المؤتمر ، بأن امتنعتا عن إرسال مندوبين عنهما ، فحضرت اللجنة برئاسة مندوبى الولايات المتحدة . وهى اللجنة التى عرفت باسم « كنج — كرين » ؛ وقد وفدت إلى سورية فى يونيه ، وقامت باستفتاء عام دقيق وصلت فيه إلى حقيقة رأى البلاد ، وكانت لجنة عادلة محايدة ، ثم قدمت تقريرها فى أغسطس عام ١٩١٩ . وخلاصة ما انتهت إليه أن الأكثرية العظمى تطلب استقلال سورية التام على أن تكون موحدة شاملة لفلسطين ، وتستنكر فكرة إنشاء الوطن القومى لليهود . فإن لم يكن بد من الانتداب فليكن لأمريكا ، على أن يكون لمدة مؤقتة وعلى أن لا يكون المفهوم منه أنه استعمار ، بل مجرد بذل المساعدة الفنية لمعاونة الحكومة الوطنية على النهوض ، فإن لم تكن أمريكا فإنجلترا على نفس الشروط ، أما فرنسا فقد رُفضت إطلاقا . وقد سجلت اللجنة نفسها معارضتها للمشروع الصهيونى ، موضحة أنه لن يمكن تنفيذه إلا بإراقة الدماء وبإجلاء السكان الأصليين بقوة السلاح ، وهو ما يخالف كل المخالفة المبادئ التى دعا إليها « ولسن » ، والغايات التى من أجلها حارب الحلفاء . ولكن هذا التقرير لم يكن له من أثر ، وألقت به الدولتان الاستعماريتان ،

إنجلترا وفرنسا، فى سلة المهملات — كما كانتا قد ألقتا بآمال العرب — وكان « ولسن » قد فقد نفوذه، إذ أن أمته نفسها قد خذلته وعارضت ما اتفق عليه مع رؤساء الدول الاستعمارية فى « مؤتمر الصلح ».

بذلك خلا الجو لإنجلترا وفرنسا، فوصلتا إلى اتفاقات على تقسيم النفوذ، وتبادل المصالح، واستطاع الاستعمار أن يحقق حينئذٍ أقصى غاياته، وساد الظلم، وديس على الحريات والحقوق. توصل « لويد جورج » و « كلمنصو » إلى اتفاق فى ١٥ سبتمبر ١٩١٩ على تعديل معاهدة « سيكس — بيكو »؛ وكان مضمون هذا التعديل: أن فرنسا وافقت — بعد إلحاح من إنجلترا — على أن تترك للأخيرة ولاية « الموصل »، فتكون لإنجلترا السيادة على « العراق » كله، فى نظير أن تعطى إنجلترا لفرنسا حصة وافرة من الزيت. وتُلغى المنطقة التى كان قد اقتُرح أن تكون دولية حول القدس، فتصبح فلسطين كلها لإنجلترا، حتى تستطيع أن تحقق آمال اليهود. وفى مقابل ذلك وافقت إنجلترا — رامية بعهودها للعرب عرض الحائط — على تجزئة سورية: فهى قد أخذت فلسطين بالاشتراك مع أبناء إسرائيل، وتستولى فرنسا على لبنان جاعلة منها قسما منفصلا، وعلى المناطق الساحلية والشمالية من سوريا، تاركة فقط المدن الأربع الداخلية ليقيم عليها الأمير فيصل حكومة عربية.

واستدعى « لويد جورج » الأمير لينبئه بهذا الاتفاق. فذهب مرة أخرى إلى أوربا فى سبتمبر ١٩١٩، وبعد أن قام باتصالاته مع حكومتى إنجلترا وفرنسا لم يرَ بدًّا من الموافقة على المشروع. وفى أثناء وجوده هناك عينت فرنسا الجنرال « غورو » قائداً عاماً للجيش الفرنسى فى الشرق ومندوباً سامياً لها، فوصل إلى بيروت فى ١٨ نوفمبر، وأخذت الجنود الفرنسية ترِد تباعاً إلى الشام. وفى خلال الشهر نفسه « نوفمبر » شرع الجيش الإنجليزى فى إخلاء سورية طبقاً لما اتفقت عليه حكومته مع حليفتها فرنسا، تاركا حكومة الأمير «زيد» أخى الأمير فيصل الذى كان الأمير قد أقامه نائباً فى «دمشق» فى أثناء غيابه مواجهةً لفرنسا فى الشمال، بينما انفردت إنجلترا بالنفوذ فى الجنوب « فلسطين والأردن » وفى الشرق « العراق ». ثم عاد الأمير فيصل

فى يناير من العام التالى : ١٩٢٠ . وكان هذا آخر ما وصلت إليه آمال العرب ، وغاية ما انتهت إليه جهوده وتأثيره على حلفائه وأصدقاء والده، بعد الانضمام إليهم ، وتأييدهم بكل الوسائل ، والمحاربة فى سبيلهم ، منذ يونيه عام ١٩١٦ : أى أن البلاد العربية وجدت نفسها فى حالة أسوأ بكثير مما كانت عليه فى عهد الدولة العثمانية : فقد مُزِّقت بدداً وقطعت أوصالها ، ونصب عليها سادة متعددون ، هم أجانب عن ثقافتها غرباء عن روحها ، أعداء الإسلام والعرب التاريخيون منذ عهد الحروب الصليبية ، ولذلك كان لا غرو أن يعلن الجنرال « ألانبى » يوم دخل القدس : « اليوم خُتمت الحروب الصليبية » ! ! بكل ما تتضمن هذه الجملة من معان . وهى قد خُتمت ، ولكن من وجهة نظر الأوربيين .

كان شعور الاستياء بالغاً ، إذ شعر العرب وأهل الشام بصفة خاصة أنهم بيعوا بيع السلع ، وعرفوا أن المبادئ التى يدعو إليها الحلفاء خداع ، وأنها لا تقف أمام المطامع الاستعمارية . ولقد قرروا إزاء هذا أن يعلنوا صوت الشعب ويظهروا إرادته فى صورة محددة ، ويبدأوا فى التنفيذ ليضعوا الدول أمام الأمر الواقع . فوفقاً لهذا اجتمع « المؤتمر السورى » — وهو مؤتمر دستورى كان يمثل الرأى العام تمثيلا صحيحاً — فأصدر فى يوم ٨ مارس ١٩٢٠ قرارات هامة حدد بها مستقبل البلاد . وإصدار تلك القرارات هو نقطة البدء فى تاريخ سورية الحديثة . فكان أهم القرارات إعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية ومنها « فلسطين » استقلالاً تاماً ؛ وحفظ حقوق الأقلية ، ورفض مزاعم الصهيونيين ومعارضة هجرتهم ، وإقامة حكومة ملكية نيابية مسئولة ، واختار المؤتمر الأمير فيصل ملكا على البلاد . كما اجتمع فى نفس اليوم « مؤتمر من رجال العراق » وأصدر قرارات باستقلال « العراق » وباختيار الأمير عبد الله ملكا عليه . وكانت إنجلترا قد احتلت العراق وحكمته حكماً عسكرياً مباشراً منذ نهاية الحرب ، وأرادت أن تجعله ولاية ملحقة بحكومتها فى الهند .

وتنفيذاً لقرار المؤتمر قامت الدولة الفيصلية فى « دمشق » وألفت أول وزارة برئاسة رضا باشا الركابى وشرعت فى تأدية وظائفها . وأوفد الملك أحد المخلصين له وهو اللواء « نورى السعيد » إلى لندن وباريس ليحصل على اعتراف حكومتيهما

بالعهد الجديد . وكان الواجب أن تحترم الدول الإرادة الشعبية ، وترحب بهذا النظام الذى كان لا بد أن يعمل على الاستقرار . ولكن إنجلترا وفرنسا — الحلفاء — أسرعتا إلى إعلان عدم اعترافهما بقرارات المؤتمر . وكان جوابهما دعوة « مجلس الحلفاء الأعلى » إلى الانعقاد . فانعقد فى « سان ريمو » وأصدر قراراته فى ٢٥ أبريل ١٩٢٠ . وكانت قرارات غاية فى الخطورة ، وكان لها أكبر الأثر على مستقبل الشرق العربى . قرر الحلفاء إذ ذاك وضع الأمة العربية تحت الانتداب « الوصاية » ، أى أن الأمة العربية كان يجب أن تظل مستعبدة للدول الغربية ، محتلة بالجيوش الإنجليزية والفرنسية تتصرف فيها وتملى عليها إرادتها كما تشاء . وقدوزعوا الانتداب فجعلوه لإنجلترا على العراق وفلسطين كلها مع تعهد إنجلترا بإنشاء الوطن القومى لليهود ، وأعطوا الانتداب لفرنسا على سورية كلها بما فيها حكومة فيصل فى دمشق . وكان هذا مخالفاً لما اتفق عليه لويد وجورج وكلمنصو من قبل فى ١٥ سبتمبر من العام السابق .

وإذ وجدت فرنسا نفسها مسلحة بقرار الانتداب ، غدت علاقتها مع حكومة الأمير فيصل علاقة الذئب بالحمل ! وكما أن الذئب ادعى على الحمل — ظلماً وعدواناً — أنه عكر عليه الماء ، فكذلك ادعت حكومة الجنرال « غورو » الفرنسى على الأمير « فيصل » أنه عكر عليه الجو فى الشام ! وأجمع « الذئب » رأيه على التهام الحمل ! فنى يوم ١٤ يوليه ١٩٢٠ أرسل الجنرال « غورو » إنذاراً إلى حكومة دمشق يطلب التسليم بأمور معينة : منها قبول الانتداب ، وتسريح الجيش، وإخلاء سكة حديد الخ ، وحدد للرد أربعة أيام مدت يوماً آخر . وقد آثر فيصل الخضوع بدلا من المقاومة ؛ فسرح جيشه . ولكن جوابه تأخر فى الطريق ، فقرر الجيش الفرنسى الزحف على دمشق فى يوم ٢٠ يوليه بدباباته وطائراته . وتقدم فريق من الوطنيين ، على رأسهم يوسف بك العظمة وزير الدفاع فى الحكومة التى كان يرأسها إذ ذاك السيد هاشم الأتاسى — وهى الوزارة الثانية تألفت يوم ٣ مايو — تقدموا لمقاومة الجيش الفرنسى بدون استعداد . فحدثت معركة « ميسلون » فى يوم ٢٤ يوليه التى فتك فيها الفرنسيون بنحو ألفين من الوطنيين من بينهم وزير الدفاع . ثم احتلوا « دمشق »

فى يوم ٢٨ منه وبقية المدن السورية ، وأمروا فيصل بالرحيل ، فلم يملك إلا مغادرة البلاد . ومنذ ذلك الوقت بدأ عهد الجهاد والألم والتضحيات فى تاريخ سورية ، وكان على السوريين أن يدفعوا من أجل حريتهم ضرائب العرق والدماء والدموع — لمدة ربع قرن بعد ذلك .

ولكن قرارات « سان ريمو » كانت أشعلت فى نفس الوقت ثورة فى « العراق » فقد تيقن العراقيون بعدها من مصيرهم ، وعرفوا أنهم لا يراد بهم — على أنهم جاهدوا أحسن جهاد فى سبيل الحركة العربية وساعدوا الحلفاء فى أوقات شدتهم — لا يراد بهم إلا أن يظلوا خاضعين لإنجلترا ، وأن آمالهم فى الاستقلال وفى نهضة الأمة العربية قد قُضى عليها . وكان الإنجليز قد أقاموا حكومة عسكرية فى بغداد على رأسها الكولونيل « ولسن » وعينوا حكاماً عسكريين على كل المدن العراقية ، وجلبوا معهم موظفين من الهنود ، وأساءوا معاملة الشعب وجرحوا كبرياءه ، غير فاهمين لنفسيته . وكان قد مضى عام ونصف على هـــذه الحال ، والبلاد يزداد فيها الاضطراب ، وأحوال المعيشة مختلة لعدم الاستقرار . ثم جاء الحلفاء فرفضوا قرارات « المؤتمر العراقى » ، ومنعوا الأمير عبد الله من الوصول إلى بغداد . هذا فى الوقت الذى أقام فيه الأمير فيصل حكومة فى سورية ، وكان مثل الثورة المصرية التى كانت لا تزال مستمرة واستطاع المصريون أن يجبروا الإنجليز على التراجع — كان ماثلا أمام أعين العراقيين . فاجتمعت كل هذه العوامل لتسبب قيام الثورة العراقية ، التى كانت شرارتها القبض على بعض كبار العراقيين . فبدأت الثورة منذ يوم ٣٠ يونيه عام ١٩٢٠ ، وتزعمها العلماء ورؤساء العشائر ، واشتركت فيها بغداد والفرات ثم انتشرت إلى سائر الأنحاء . وكان فى طليعة قادتها الإمام محمد تقى الشيرازى الذى خلفه عند وفاته شيخ الشريعة الأصبهانى ، والسيد محمد الصدر ، وجعفر جلبى أبو التمن ، والسيد علوان الياسرى ، والشيخ محمد الباقر ، والشيخ محمد رضا الشبيبى ، وغيرهم . وقد جاهد العراقيون جهاداً صادقاً ، وألقوا على الإنجليز درساً قاسياً ؛ وذلك لأن الوطنية كانت متحدة مع الدين ومستمدة منه ، فكانت الحركة إسلامية روحية ناجحة موفقة . وقد استطاع الثوار أن يجبروا الإنجليز على إخلاء ريف العراق ،

فبقوا شبه محصورين فى المدن الثلاث الكبرى ، وألف الوطنيون حكومات محلية ، واستمرت الثورة إلى أكتوبر ١٩٢٠ ، بعد أن تكبد الإنجليز خسائر قدرت بنحو أربعين مليوناً من الجنيهات ، ومئات من القتلى والجرحى ، كما قتل من العراقيين بضعة آلاف ، ولكنهم ماتوا شهداء راضين مرضيين فى أقدس قضية ، فهم أحياء عند ربهم يرزقون . وأنتجت الثورة أثرها ، فأخذ الإنجليز يفكرون فى تغيير سياستهم ، وبدأوا بالفعل فى تنفيذ سياسة أخرى .

وهكذا كان الشرق العربى فى السنوات التى أعقبت الحرب يغلى كالمرجل ، ولم يظفر بالسلام الذى كان ينشده ، وصارت تتوالى فيه الأحداث وتنفجر الثورات . ولكن هذا كان دور الجهاد أو المحنة التى يصهر فيها معدنه . وصدق قول الله تعالى : « أم حسبتم أن تُتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » وقوله تعالى أيضاً : « وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين » .

« البقية فى العدد القادم »

سلٍّ عنك الهم

سلِّ عنك الهمَّ إنَّا لا نبالى بالهمومِ
نحن قوم برضانا تنجلى كل الغموم
وبتسليم حكيم لقضا رب حكيم
لا يشب الحزن منا جاحم الخطب الأليم
لانسىء الأدب الواجب للمولى العليم

***

عجباً للمرء يرضى حكمَ ظلامٍ غشومِ
ثم يملا صدرَه السخطُ من الله العظيم
أيها الساخط عذراً لست عندى بملوم
إنما أطغاك حِلمٌ جلَّ ربى من حليم

طنجة « عبد الله بن كنون »

بين يدي الرسول :

من ملامح هذا الدين

دين يزرع الحب

عن أبي الدّرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملكُ ولك بمثلٍ » .

دين يعلّم الذوق

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقيّمن أحدكم أخاه ثم يجلس في مجلسه » .

وكان ابن عمر إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه .

وفي حديث أبي عَوَانَةَ : « من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحقّ به » .

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

دين يفرض القوة

عن عُقْبَة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » .

وأخبر الليثُ عن الحارثِ بن يعقوب ، عن عبد الرحمن بن شُمَاسَةَ ، أن فُقَيْماً اللخميّ قال لعقبة بن عامر : تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك ، قال عقبة : لولا كلامٌ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانِه ، قال الحارث ، فقلت لابن شماسة : وما ذاك ، قال : إنه قال : « من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى » .

دين يطارد النفاق

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » .

دين يعالج الواقع

قال ابن الزبير : إنى سمعت عائشة تقول إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن الناس حديثٌ عهدهم بكفر ، وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنائه ، لكنت أدخلت فيه من الحجر خمس أذرع ، ولجعلت لها بابا يدخل الناس منه ، وبابا يخرجون منه » .

دين يقدّس آصرة البيت

عن أبى سعيد الخدرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجل يفضى إلى امرأته ، وتفضى إليه ، ثم ينشر سرها » .

دين يبعث الحياة

دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أم معبد حائطا فقال : « يا أم معبد : من غرس هذا النخل ؟ أمسلم أم كافر ؟ فقالت : بل مسلم . قال : فلا يغرس المسلم غرسا ، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير ، إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة »

الطريق إلى مكة

للأستاذ محمد أسد

[فى العددين الثانى والخامس من « المسلمون » هذه السنة نشرنا مقتطفات من قصة حياة الأستاذ محمد أسد « الطريق إلى مكة » التى كتبها بقلمه ، وستظهر فى كتاب فى أمريكا وإنجلترا خلال الأشهر القليلة القادمة ، وفى ألمانيا فى ربيع ١٩٥٥ إن شاء الله .

وفيما يلى ترجمة قطعة أخرى بعث بها الأستاذ أسد إلينا من ألمانيا الغربية — حيث يذيع بالألمانية أحاديث دورية فى الإسلام — وهى تصف اعتناق المؤلف الإسلام فى برلين سنة ١٩٢٦ بعد سنين عديدة من الأسفار خلال العالم الإسلامى .

بعد إسلام المؤلف على النحو المبين فى هذا الفصل لم يلبث أن ترك أوروبا وأقام فى المملكة العربية السعودية حتى سنة ١٩٣٢ حيث غادرها إلى الهند فقابل المرحوم العلامة محمد إقبال؛ ومنذ ذلك الحين استهوته فكرة الباكستان ، فهب للعمل على تحقيقها]

« التحرير »

كنت راكباً من هرات إلى كابُل[1] خلال الأودية والممرات المغمورة بالثلوج بين جبال هندوكوش فى أفغانستان الوسطى ، وكان الجو بارداً والجليد ناصعاً يتلألأ ، وعلى كل جانب قامت الجبال شاهقة بلقاء .

كنت حزيناً ذلك اليوم ، ومع ذلك فقد كنت أشعر بسرور غريب : كنت حزيناً لأن الناس الذين عشت معهم بضعة الأشهر السابقة كانوا يبدون محجوبين بسجف كثيفة عن النور والقوة والنماء ، مما كان بإمكان عقيدتهم أن تحبوهم به . وكنت مسروراً لأن النور والقوة والنماء فى تلك العقيدة بدت قريبة جداً حيال ناظرىّ كهذه الجبال ببياضها وسوادها ، تكاد تلمسها يدى .

بدأ حصانى يظلع ، وحافره يحدث طقطقة مع خطوه ، وإذا النعل الحديدية قد تفلتت وأضحت معلقة بمسمارين فقط ؛ فسألت الأفغانى الذى كان يرافقنى : « هل

---

(١) انظر « المسلمون » ص ٦١ من العدد الثانى من السنة الثالثة — نهاية مقال الطريق إلى مكة .

من قرية قريبة نجد فيها حداداً ؟ » فقال : « إن قرية ده زنكى فيها حداد ، وهى دون فرسخ من هنا ، وحاكم المزراجات له قلعة هناك . »

وهكذا توجهنا إلى ده زنكى فوق الثلوج الناصعة فى بطء حتى لا نتعب الحصان ...

كان الحاكم شاباًّ قصير القامة مرح المحيا ، وكان أنيساً يُسرُّ بالضيف الغريب يزوره فى وحدته فى تلك القلعة المتواضعة . ومع أنه كان من أقرباء الملك أمان الله الأدنين ، إلا أنه كان من أشد الناس الذين قابلتهم فى أفغانستان ، من قبل ومن بعد ، دماثة وتواضعاً ؛ ولقد أصرَّ على بقائى عنده يومين .

فى مساء اليوم الثانى جلسنا لعشاء باذخ كالعادة ، ثم جاء لمسامرتنا رجل من أهل القرية بأغانى ريفية ينشدها على أنغام طنبور ثلاثى الأوتار . كان يغنى بالباشتو ، وهى لغة لم أعرفها ، ولكن بعض الكلمات الفارسية التى استعملها طفرت حية فى جنبات الغرفة الدفيئة المفروشة بالسجاد ، بينما الجليد يلمح بريقه من خلال النوافذ .

إننى أذكر أن أنشودته كانت فى قصة داود وقتاله جالوت — صراع العقيدة ضد القوة الغاشمة — ومع أنى لم أستطع متابعة كلمات الأغنية تماماً ، فإن موضوعها كان واضحاً لدى إذ بدأت نبراتها هادئة وادعة ، ثم رقت فى مطلع شاهق من العاطفة إلى ذروة النهاية بصيحة الانتصار ...

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عند انتهاء الأنشودة أبدى الحاكم ملاحظته فقال : « كان داود صغيراً ولكن إيمانه عظيم ... » .

وهنا لم أستطع أن أكفَّ نفسى أن أضيف : « وأنتم كثيرون ولكن إيمانكم قليل » .

ونظر مضيفى إلىَّ فى دهشة ، فبادرت إلى توضيح ماعنيت إذ أُخذت بسبب ماقلت بغير اختيارى ، واتخذ إيضاحى شكل تيار من الأسئلة :

« ما الذى حدث حتى أضعتم أيها المسلمون ثقتكم بأنفسكم — تلك الثقة التى استطعتم بها مرة أن تنشروا عقيدتكم فى أقل من مائة سنة من جزيرة العرب إلى المحيط الأطلسى غرباً ، وشرقاً حتى أعماق الصين — والآن تسلمون أنفسكم هكذا بسهولة

وضعف لأفكار الغرب وتقاليده . لماذا لا تستطيعون — أنتم الذين أنار أجدادكم الدنيا بالعلوم والفنون فى زمن كانت فيه أوروبا غارقة فى البربرية وموغلة فى الجهالة — أن تستعيدوا الشجاعة التى تردكم إلى عقيدتكم الناهضة المتألقة ؟ كيف أصبح أتاتورك — ذلك المهرج التافه الذى ينكر أن يكون للإسلام شىء من القيمة — كيف أصبح لديكم أيها المسلمون شعار (النهضة الإسلامية) » ؟ .

ظل مضيفى صامتاً لا ينبس ، وقد بدأ الثلج فى الخارج يتساقط ، وشعرت للمرة الثانية بتلك الموجة من الحزن والسرور التى شعرت بها أثناء إقبالى على ده زنكى : لقد أحسست بالمجد الذى كان ، وبالمرّة التى غشيت هؤلاء الأبناء المتأخرين من حضارة عظيمة .

« أخبرنى ماذا جرى حتى أضحت عقيدة نبيكم بكل صفائها وبساطتها مدفونة بين ركام نظرات الفقهاء المقيمة ومماحكاتهم ؟ ما الذى حدث حتى أصبح أمراؤكم والإقطاعيون فيكم يرتعون فى الثراء والنعيم بينما الكثير من إخوانهم المسلمين يعيشون فيما لا يوصف من فاقة وقذارة ، مع أن نبيكم قد علمكم أنه ليس المؤمن الذى يبيت شبعانا وجاره جائع إلى جنبه ؟ هل تستطيع أن تبين لى لماذا أرجعتم المرأة إلى المؤخرة فى حياتكم — مع أن النساء زمن النبى وصحابته قمن بدور خطير فى حياة رجالهن ؟ كيف أمسى كثير منكم أيها المسلمون جاهلين ، والقليل من يعرف حتى القراءة والكتابة — مع أن نبيكم أعلن أن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وأن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ؟ ؟

لم يزل مضيفى يحملق بى دون كلام ، حتى بدأت أظن أن هذا الاندفاع منى قد ساءه كثيراً . أما الرجل صاحبُ الطنبور ، فهو إذ لم يكن يعرف الفارسية بالقدر الذى يمكنه من فهم ما قلت ، نظر طويلا فى دهشة لمرأى الغريب الذى كلم الحاكم بهذا القدر من الانفعال .

وأخيراً ضم الحاكم إليه أطراف عباءته الصفراء من الغنم كأنما أحس بالبرد ، ثم همس قائلا :

« لكن . . . إنك مسلم . . . »

فضحكت وقلت : « لا ، لست مسلماً ، ولكن اتفق لى أن أرى الشىء الكثير من الجمال فى الإسلام ، مما يجعلنى أحياناً أشعر بالأسى أن أرى الناس يفرِّطون فيه . . . وأرجوك عفواً إن كان كلامى جافياً ؛ فإننى لم أتكلم بدافع من العداء » .

ولكن مضيفى هز رأسه وقال : « لا ، إن الأمر كما قلت لك : إنك مسلم ، غير أنك لا تعلم ذلك من نفسك . . . لم لا تقول الآن ههنا : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فتصبح مسلماً فى الواقع كما أنك مسلم فى سريرتك ؟ قلها يا أخى ، قلها الآن ، وسأذهب معك غداً إلى كابل وآخذك إلى الأمير ، فسيتلقاك بذراعيه كواحد منا ، ولسوف يمنحك منازل وحدائق وماشية ، وسيحبك الجميع . قلها يا أخى . . . »

فقلت له : « إننى إذا قلتها ، فإنما أقولها لأن تفكيرى قد استقر عليها ، لا طمعاً فى منازل الأمير وحدائقه . . »

غير أن الحاكم أصر قائلا : « لكنك فى الحقيقة تعرف عن الإسلام أكثر مما يعرف معظمنا بكثير . فأى شىء لم تفهمه بعد » ؟

فأجبت : « ليس الأمر مسألة فهم . إنها قضية اقتناع : اقتناع بأن القرآن حقيقة كلام الله ، وليس مجرد عمل باهر من وضع عقلية بشرية عظيمة . . »

ولكن كلمات صديقى الأفغانى لم تزايلنى فى الحقيقة خلال الأشهر التالية !..

عندما عدت إلى ألمانيا أوائل عام ١٩٢٦م استغرقت بلهفة شديدة فى دراسة الإسلام ، فتزايد تأثرى بذلك الانسجام الكامن فيه من تعاليمه المثالية وإرشاداته العملية ؛ فبحسب ماجاء فى القرآن ، لم يدع الله الناس إلى اتباع أعمى ، ولكنه خاطب البصيرة والإدراك فيهم ؛ ولم يبدُ تبارك وتعالى بعيداً عن واقع الإنسان . ولكنه أقرب إليه من حبل الوريد . إنه سبحانه لم يضع أى حد يفصل بين العقيدة والسلوك فى المجتمع ، وإنه — وهذه لعلها الأهم — لم يبدأ من القاعدة التى تسلم بأن الحياة محملة بصراع بين المادة والروح ، وأن الطريق إلى النور تتطلب تحرير الروح من

أغلال الجسد ؛ فنبذ الحياة وإفناء النفس فى أية صورة قد حاربها رسول الله بمثل قوله : « لا رهبانية فى الإسلام » . إن حب البقاء فى البشر لم يعتبره الإسلام غريزة إيجابية مثمرة وحسب ، ولكنه حباه بمظهر من القداسة إذ ربطه بمبدأ خلقى أيضاً ؛ وإن من تعاليمه : ليس لك أيها الإنسان مجرد الحرية فى أن توجه حياتك كلها للصالح العام ، ولكنك مجبر على أن تفعل ذلك .

أخذت صورة متكاملة عن الإسلام تبدو لى فى تمام وتحدد إلى مدى أدهشنى فى بعض الأحيان . لقد كانت تتشكل تلك الصورة فى أسلوب يكاد يوصف بأنه نوع من الانتشار[١] العقلى — أى بدون أى مجهود قصدىّ من ناحيتى لتجميع وتنسيق الشذرات الكثيرة من المعارف التى صادفتها خلال السنوات الأربع السابقة . لقد رأيت أمامى شيئاً كأنه البناء تام الصنعة ، كل عناصره تُرى متناسقة يكمل ويدعم كل منها الآخر ، دون زيادة عن المطلوب أو نقصان — توازن وتآلف يعطى الإنسان الشعور بأن كل شىء فى مظهر الإسلام وفى مبادئه قد وضع « فى مكانه الطبيعى » .

منذ ثلاثة عشر قرناً وقف رجل ينادى : « إنما أنا بشر ، ولكن الذى فطر هذا الكون قد أمرنى أن أحمل رسالته إليكم . فحتى يتسنى لكم أن تميشوا فى تناسق مع الناموس الذى خلق الكون بموجبه ، أمرنى أن أذكركم بوجوده ، وأنه على كل شىء قدير ، وبكل شىء عليم ؛ وأن أضع أمامكم منهاجاً للسلوك . فإن تقبلتم تلك التذكرة وهذا المنهاج فاتبعونى » هذا هو كنه بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

لقد كان النظام الاجتماعى الذى عرضه من تلك البساطة التى لا تكون إلا مع العظمة الحقيقية ، إذ بدأ من المقدمة التى تسلم بأن بنى الإنسان كائنات بشرية لها حاجات بشرية ، وأن صنعة الله فيهم تحتم عليهم العيش فى جماعات ليتمكنوا من إشباع مطالبهم كلها جسمانية وخلقية وعقلية : وبالاختصار فإن كلا منهم يعتمد على الآخر . إن استمرار رقى الفرد فى المجال الروحى (الظاهرة الأساسية فى جميع الديانات) تعتمد على مساعدة الناس له من حوله ، وتشجيعهم وحمايتهم — وهم بطبيعة الحال ينتظرون

(١) الانتشار : Osmosis ظاهرة تداخل السوائل التى يفصل بينها جسم ذو مسام .
« المترجم »

منه مثل ذلك لأنفسهم — هذه الحاجة المتبادلة بين الناس كانت السبب الذى جعل الديانة الإسلامية لا يمكن فصلها عن الاقتصاد والسياسة . إن تنظيم الملاقات العملية بين بنى الإنسان بحيث يلاقى كل فرد فى تكوين شخصيته أقل العقبات الممكنة وأكثر المشجعات — هذا التنظيم يبدو أن يكون دون غيره هو فكرة الإسلام عن وظيفة المجتمع الأصلية ، وهكذا فمن الطبيعى ألا يتعلق النظام الذى أعلنه النبى محمد فى أعوام بعثته الثلاثة والعشرين بالمسائل الروحية فقط ، ولكنه يضع هيكلاً لجميع أوجه النشاط الفردى والاجتماعى كذلك . ولقد تعهد هذا النظام فكرة صلاح الفرد ، ليس ذلك فقط ، بل تعهد فكرة المجتمع القويم االذى يمهد له ذلك الصلاح . وكذلك وضع الخطوط العريضة للجماعة السياسية — الخطوط العريضة فقط لأن تفاصيل المطالب السياسية عند الإنسان مرهونة بأوقاتها ، فهى متغيرة لذلك — كما وضع الموازين لحقوق الفرد وواجباته فى المجتمع وقد روعى فيها ظاهرة التطور التاريخى .

لقد تعهد التشريع الإسلامى الحياة فى جميع نواحيها ، الخلقية والجسمية ، والفردية والجماعية ؛ وكذلك قضايا الجسد والعقل ، والمشكلات الجنسية والاقتصادية ، كلها قد أخذت مكانها اللائق من تعاليم النبى إلى جانب مسائل التوحيد والعبادة ، وليس هناك شىء مما يتصل بالحياة يعد من التفاهة بحيث يستبعد عن مدار التفكير فى الدين الإسلامى — ليس حتى ما يعد من الأمور (الدنيوية) الصرفة كالتجارة والمواريث وحقوق الملكية وتملك الأراضى .

« البقية فى العدد القادم »

من أخبار حكومة الإسلام

نزل عمر بن عبد العزيز ديراً فمرت به أطباق فقال : ماهذه ؟ قيل له : صاحب الدير يطعم الناس ، فجاءه بطبق فيه فستق ولوز ، فقال عمر : تلك الأطباق مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : خذ طعامك .

خطوط في شريعة الإسلام وحكمه

للأستاذ الدكتور صبحي محمصاني

المحامي بالاستئناف ببيروت

توطئة :

لا بد للباحث فى أية ناحية من نواحى الدراسة الإسلامية من أن يتنبه إلى أمرين خطيرين : أولهما أنه يجب التفريق بين مبادئ التعاليم الإسلامية الأصلية وبين أعمال بعض رجال السياسة أو بعض الشعوب الإسلامية ، وإن عدم التفريق قد أوقع فى الخطأ كثيرا من المستشرقين الذين كتبوا عن الإسلام ، إذ أنهم صوّروا الإسلام كما وجدوه فى بعض عصور التاريخ لا كما كان يجب أن يكون عليه . ونحن ههنا نحصر بحثنا فى التعاليم الأصلية ، التى تصور وحدها حقيقة الإسلام ، بصرف النظر عن كل تفسير أو تطبيق مستمد من الماضى أو الحاضر المخالف لهذه التعاليم .

والأمر الثانى الذى ينبغى التنبيه إليه ، هو أن الإسلام دين وشريعة . وأن هاتين الناحيتين من الإسلام متشابكتان تشابكا متناسقا كان سبباً فى التأثير المتبادل بين مبادئ الدين الروحية ومبادئ الشريعة العملية ، حتى صح أن يقال : إن الشريعة الإسلامية شريعة دينية إنسانية ، وإن الدين الإسلامى دين اجتماعى عملى .

وأول ما نلمسه من تشابك الأحكام الدينية بالأحكام الشرعية هو وحدة المصادر التى تستمد منها هذه الأحكام جميعا . فمصادر التشريع والدين الإسلامى عديدة : أهمها القرآن الكريم ، وهو كتاب الله تعالى ، ثم سنة النبى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، المستمدة من أقواله (الحديث الشريف) ومن أفعاله وتقاريره . ويأتى بعد هذين المصدرين الأصليين مصدران آخران فرعيان : وهما الإجماع والقياس . فالأول هو اتفاق جميع المجتهدين المسلمين فى عصر من الأعصار ، والثانى هو تطبيق حكم منصوص عليه فى مسألة معلومة على مسألة أخرى شبيهة ، بداعى وحدة العلة فى المسألتين . وقد زاد بعض الفقهاء أدلة أو مصادر أخرى ؛ كدليل الاستحسان فى المذهب الحنفى ، ودليل المصالح المرسلة فى المذهب المالكى . وهذان المصدران

مرجعهما إلى مبادئ الإنصاف والعدل المطلق ، والمصلحة العامة ، والتيسير على الناس .

وإن درس هذه المصادر واستنباط الأحكام الشرعية منها كان يحصل بواسطة ما يسمونه « الاجتهاد » : أى استفراغ الوسع فى طلب العلم بالأحكام من مصادرها الأصولية . فكان الاجتهاد عاملا ضروريا فى تاريخ نشوء الشرع .

وكان المجتهدون يعملون بالنص إذا وُجد ، ويأخذون بالرأى عند عدمه ، فيقيسون الأمور بأشباهها تارة ، ويستحسنون أو يستصلحون تارة أخرى . وقد نشأ من ذلك مذاهب متعددة ، أهمها المذاهب السنية الأربعة : الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى ، والمذاهب الشيعية الثلاثة : الإمامى والزيدى والإسماعيلى .

وقد ازدهر علم الشريعة كثيرا فى العصر العباسى الذهبى ولكن هذا الازدهار تدرج فى الاضمحلال ، منذ أواخر الدولة العباسية . وأجمع الفقهاء السنيون على سد باب الاجتهاد خوفاً من الاضطهاد ، وعلى الاكتفاء بالمذاهب الأربعة المعروفة . ثم تقهقرت المدنية العربية شيئاً فشيئا ، وأصابها الجمود فى جميع نواحيها ؛ فاستتبع ذلك تفشى التقليد ، وتوقف الاجتهاد فى الفقه ، وكثرة البدع المبنية على الوهم والجهل ، وانتشار الخرافات السخيفة . وبقى الأمر كذلك حتى القرن التاسع عشر ، إذ قامت بعض الحركات الإصلاحية ، بقيادة أمثال محمد بن عبد الوهاب والشيخ جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ، يدعون إلى نبذ التقليد وعدم التقيد باجتهاد مذهب معيّن ، ويقولون بوجوب الرجوع إلى مصادر الشريعة الأصلية ، وفهم روحها الحقيقية والسير بها فى ميدان التقدم والتمدن .

الإسلام والمدنية :

ولابد من التنويه بأن الشريعة الإسلامية شريعة تقدمية ، تساير كل مدنية وكل عصر وكل مكان . فمن مبادئها الأساسية أنه لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال .

وإن هذه القاعدة تطبق بوجه خاص فى الأحكام الاجتهادية الفرعية[١] .

وإن الشريعة الإسلامية ، كما نرى ، لها مصادرها الأصلية ولها تاريخها الخاص ؛ فهى شريعة قائمة بذاتها غير منقولة عن غيرها ، وهى مستقلة تمام الاستقلال ، لا سيما عن الشريعة الرومانية ، كما أوضحنا فى غير هذا المعرض[٢] . وهذا ما أقره المؤتمر الدولى للقانون المقارن المنعقد فى لاهاى سنة ١٩٣٢ وسنة ١٩٣٧ ، وما أثبته مندوبو الدول الإسلامية فى مذكرتهم المقدمة إلى جمعية الأمم فى أيلول — سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وفى مذكرتهم المقدمة إلى مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد فى سان فرنسيسكو بتاريخ ١٧ نيسان — أبريل سنة ١٩٤٥[٣] .

وقد اعتبرت الشريعة الإسلامية فى تلك المؤتمرات بأنها شريعة مستقلة ، وأنها مظهر من مظاهر المدنية الكبرى ، بالمعنى المقصود فى المادة التاسعة من نظام المحكمة الدائمة للعدل الدولى .

وللإسلام ، الذى يجمع اليوم تحت لوائه حوالى خمسمائة مليون من البشر ، حضارة عريقة ، امتدت إبان القرن الثانى عشر من الصين إلى أسبانيا ، ومن البحر الأسود إلى الأوقيانوس الهندى . وقد وحدت الحضارة الإسلامية الشعوب فى البلاد التى انتشرت فيها فى بوتقة الإيمان والعلم ؛ فقضت على حواجز العصبيات والأجناس والألوان ، وحفظت الحضارات القديمة ، لا سيما اليونانية ، ثم أظهرتها بمظهر جديد ، ونقلتها مع الحضارة الإسلامية إلى الهند وأوروبا عن طريق أسبانيا وإيطاليا : فكان للإسلام بنتيجة ذلك فضل لا ينكر فى ميدان المدنية العالمية ، بما قدمه إليها من تجارة وصناعة وعلوم وآداب . ولا يزال أثر ذلك ظاهرا إلى اليوم

---

(١) انظر مؤلف الكاتب « فلسفة التشريع فى الإسلام » بالعربية ، بيروت ، ١٩٤٨ الطبعة الثانية ص ١٤٩ وما بعدها (وهو الآن قيد الترجمة إلى الإنكليزية فى وشنطون وإلى الأوردية فى لاهور) ، ومحاضرته « الشريعة الإسلامية والمجتمع الحديث » فى مؤتمر الدراسات العربية فى الجامعة الأميركية عن العرب والحضارة الحديثة ، بيروت ١٩٥١ »

(٢) فلسفة التشريع ، ص ١٨٧ — ١٩٨ .

(٣) النشرة الفصلية لجمعية التشريع المقارن لسنة ١٩٣٧ ، ص ٣٥٦ — ٣٥٧ ، ووثائق مؤتمر سان فرنسيسكو ، اللجنة الرابعة ، اللجنة الفرعية الأولى رقم ٥١ تاريخ ١٧ نيسان ١٩٤٥ .
"Commission 4, Committes 1, Jurist 51"

فى لغات أوروبا ، التى احتفظت بما اقتبسته من العرب من حضارة ومن كلمات عربية من اللغة الأصلية لتلك الحضارة .

ومن أهم أسس الحضارة الإسلامية أنها أقرت مبادئ الديموقراطية[1] الحقيقة . ونحن نوجز ههنا بعض مظاهر هذه الديموقراطية فى تطبيقها على الدولة الإسلامية .

الدولة الإسلامية :

كان العرب فى الجاهلية قبل الإسلام يعيشون عيشا غالبه البداوة ، وكان مجتمعهم مؤلفا من قبائل مشتتة ، لا يربطها سلطان مركزى ، وكان أساس الحياة الاجتماعية القبلية والعصبية القبلية .

ولما ظهر الإسلام ، توحد المسلمون تحت لواء الدين وتحت راية النبوة ، وكان دستورهم الأساسى القرآن الكريم والسنة النبوية . ثم لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم نشأت فكرة الخلافة ، وتأسست الدولة الإسلامية على أثر الفتوحات العديدة ؛ فتنظم الجيش ورتبت الدواوين وفرضت المكوس والضرائب ، وأصبحت الدولة ذات سيادة . وهكذا ، كما قال ابن خلدون ، صار « الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجبى الأموال ويبعث البعوث ويحمى الثغور ولا تكون فوق يده يده قاهرة »[2] .

ومعنى الخلافة ، كما قال الفقهاء المسلمون ، خلافة النبى صلى الله عليه وسلم فى أمته ، لا خلافة الله على الأرض . فإذن ، الخلافة الإسلامية تختلف عن مبدأ الحكم المستند إلى الحق الإلهى ، الذى كان يجاهر به بعض ملوك الغرب فى القرون الوسطى . لذا قال الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) :

---

(١) لا شك فى أن الأستاذ الدكتور صبحى يريد بهذه الكلمات أن يرجع الى شريعة الإسلام ما سبقت إليه من الفضل فى كل ما عرف الناس من بعد من طرائق الحكم ومصطلحات السياسة ، وإن كنا نؤثر دائما أن تتميز أحكام الإسلام بذاتها ، وأن تعرف باسمها ، وأن يعود لكلمة الإسلام فى الأذهان والنفوس مدلولها الواسع فى العبادة والسياسة وما بينهما ، فنبرئها بذلك من مصطلحات لا تعنى دائما معناها وقد تفهم على غير وجهها « المسلمون »

(٢) مقدمة ابن خلدون ، المطبعة البهية ، بمصر ، ص ١٦٣

« لست بخليفة الله ولكنى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] » . وقد خلفه الفاروق عمر بن الخطاب ، وكان أول خليفة لقب بأمير المؤمنين .

ولم تكن الخلافة فى أول عهدها وراثية ، بل كانت انتخابية تجرى بإحدى طريقتين : الأولى طريقة الانتخاب من قِبَل أهل العقد والحل ، كما حصل فى انتخاب أبى بكر الصديق . والطريقة الثانية هى انعقاد الإمامة بعهد مَن قبله : أى أن يختار الخليفة من يخلفه بعد استشارة أصحابه ، كما فعل أبو بكر عندما اختار عمر بن الخطاب ، واستحسن المسلمون هذا الانتخاب[٢] .

وكان الانتخاب فى كلا الطريقتين يتأكد بالبيعة . ومعناها أن تعاهد الرعية الخليفة على الطاعة والتسليم له بالولاية عليهم . وأن هذه الولاية كما نرى ، انتخابية مبنية على عهد المبايعة ، ومعنى ذلك بالاصطلاح الحديث أن سيادة الدولة مصدرها إرادة الشعب والعقد بينهم وبين صاحب الولاية ؛ فالخليفة إذن حاكم مدنى ، تنصبه الأمة وتخلعه هى وفاقاً للمصلحة العامة[٣] .

وإن الخليفة أو الإمام ، فى تنفيذ ولايته وما يتفرع عنها ، مقيد بشروط تجعل من نظام الحكم الإسلامى نظاماً دستوريا شوريا . وهذه الشروط ثلاثة وهى :

أولاً : على الخليفة أن يتقيد بدستور دينى ، وهو الشريعة الإسلامية ؛ فإذا لم يتقيد بذلك ، لم يكن له على الرعية حق الطاعة ؛ وبمعناه جاء فى الحديث الشريف : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة[٤] » « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق[٥] » .

---

(١) الأحكام السلطانية ، ص ١٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤ .

(٣) الإسلام والنصرانية ، ص ٦٤ . راجع أيضاً كتاب الخلافة أو الإمامة العظمى للسيد محمد رشيد رضا .

(٤) روى فى الصحيحين ، البخارى (وشرحه العينى ج ١٧ ص ٣١٤ وج ١٤ ص ٢٢١) ومسلم (ج ٦ ص ١٥) .

(٥) رواه السيوطى فى الجامع الصغير (رقم ٩٩٠٣) ، نقلا عن أحمد فى مسنده وعن الحاكم فى مستدركه .

ثانياً : إن الحكم الإسلامى لا يقبل الاستبداد ؛ فهو مبنى على مبدأ الشورى وفاقاً للنص القرآنى : « وشاورهم فى الأمر[١] » ، « وأمرهم شورى بينهم[٢] » ، ووفاقاً لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وإجماع الصحابة من بعده .

ثالثا : إن الولاية العامة التى يمارسها الخليفة أو الإمام ، توجب تصرفه على الرعية بما فيه مصلحتهم ؛ لذا كانت هذه الولاية مقيدة بالمصلحة . فقيل فى القواعد الشرعية الكلية إن « تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة[٣] » . وهى قاعدة مبنية على الحديث الشريف « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته[٤] . . . »

وقد روى أبو يوسف عن عمر بن الخطاب أنه قال : « أنا ومالكم كولىّ اليتيم » ، أى أن الخليفة مسئول عن مال الرعية كمسئولية الولى عن أموال اليتيم . وروى عن أبى بكر وعمر بن عبد العزيز أنهما كانا يعوضان من بيت المال الضرر الناتج عن أعمال الموظف . مثاله : أتى رجل مرة الخليفة عمر بن عبد العزيز وقال له : « يا أمير المؤمنين زرعت زرعا فمر به جيش من أهل الشام فأفسدوه ، فعوضه ابن عبد العزيز عشرة آلاف درهم[٥] » .

هذه هى مبادئ الدولة الإسلامية الحقيقية .

غير أن هذه المبادئ ، التى طبقت فى عهد الخلفاء الراشدين ، لم تبق كذلك فى عهد الخلافتين الأموية والعباسية ، ولا فى عهد الخلافة العثمانية . بل انقلبت آنئذ وراثية استبدادية ، وأصبحت ملكية مطلقة بالمعنى الحديث ، ما عدا بعض المستثنيات كخلافة عمر بن عبد العزيز الأموى ، وآخر عهد الخلافة العثمانية .

والمهم أن نستنتج من ذلك ، أن الإسلام أوجب أن يكون بناء الدولة على الأسس الديموقراطية ، وإن كان هذا الواجب لم ينفذ فى جميع عصور التاريخ الإسلامى

(١) آل عمران : ١٥٩ .
(٢) الشورى : ٣٨ .
(٣) الأشباه والنظائر للسيوطى ص ٨٣ ، ولابن نجيم ص ٤٩
(٤) رواه البخارى . راجع شرحه للعينى ج ٦ ، ص ١٨٩
(٥) كتاب الخراج ، بولاق ، ص ٦٧ و ٦٨

سبحات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

الضغط الأخلاقى

معلوم فى علم الطبيعة أن للهواء ثقلا على الأشياء التى فيه . وهذا الثقل يقدّر بأحمال ثقيلة يحملها كل إنسان .

والإنسان يعيش غير مُحسّ هذا الثقل بل غير عالم به . وفى هذا الثقل حياته . فإن رفع عنه مات ، وإن خف عنه تألم واختل جسمه ، على مقدار هذه الخفة ، حتى تبلغ الخفة حدًّا قاتلا .

كذلك يعيش الإنسان تحت ضغط من قوانين الأخلاق والآداب والعادات فيه استقامة أموره ، وائتلافه فى جماعته ، والتئام أمور الجماعة وسيرها فى سبيلها قصداً على هدى .

ولا يخلص من هذا الضغط إلا مصلح أو فيلسوف يحمّل نفسه من فلسفته ما يكافئ هذا الضغط أو ماهو أشد منه .

فمن يستخف بقوانين الجماعات وأخلاقها وآدابها من دعاة الحرية ، لا يعرفون ما يدعون إليه ، ولا يقدرون آثار دعوتهم فى الإخلال بنظام الجماعة ، وسوقها إلى الفوضى . وهم فى دعوتهم على غير تثبت ، كمن يعمل على رفع الضغط الجوى عن الناس ليريحهم من ثقله .

ألا إن تبعة الكتّاب والمعلمين عظيمة ولكن بعض الناس يعبثون ويقولون وينقلون وهم لا يشعرون .

* * *

بقاء أو فناء

إذا مضى من عمر الإنسان ساعة فهل بقي ساعةً أو فني ساعة ؟ وهل زاد عمره ساعة أو نقص ساعة ؟ لعلك تقول زاد ماضيه ونقص مستقبله ؛ إن نظرت إلى الماضي وحده والمستقبل وحده . فإن نظرت إلى عمر الإنسان كله ماضيه وحاضره ومستقبله فهل تسمى مضيّ ساعة بقاءأو فناء ، وتدعوه زيادة أو نقصاً . نظر إلى هذا أبو الطيب إذ قال :

مُشب الذى يبكى الشباب مُشيبه   فكيف توقيه وبانيه هادمه

إن البقاء والفناء وجهان لحقيقة واحدة هى الكون (الوجود) فمن شاء نظر إلى هذا الوجه ومن شاء نظر إلى ذاك . من شاء قال إنه التغير والفناء ومن شاء قال إنه الاستمرار والبقاء . من شاء أن يصل نفسه بالحقائق الواسعة الباقية استطاع أن يرى الكون كله بقاء ، ومن نظر إلى المضى والتغير وتعاقب الأشياء وتبدل الأشكال رأى الزمان كله فناء .

فصل نفسك ما استطعت بالحقائق الخالدة . وانفذ من الظواهر المتغيرة الفانية إلى البواطن الثابتة الباقية . صل نفسك بحقيقة الحقائق الذى لا يحده أول ولا آخر ، ولا يحيط به زمان ولا مكان ، لعلك تثبت على المضى الذى يبين فيه الفناء ، فتشعر بالدوام الذى يتجلى فيه البقاء . صل نفسك بحقيقة الحقائق ، لا يحدك زمان ولا مكان وكأن ساعتك صلة آلاف سنين مضت بآلاف بقيت ، بل صلة الأزل بالأبد ، صلة ما لا يبتدى بما لا ينتهى .

***

برنامجنا الاقتصادي

للأستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بباكستان

(٤)

معالجة مشاكل الأرض والأموال الثابتة :

أما الأرض الزراعية فهى عقار له حكمه الخاص إذ أن القوة الإنباتية من عمل الله وخالقه وليس للبشر فى ذلك فضل . من أجل هذا قررت الشريعة وجوب استغلال الأرض بما فيه فائدة المجتمع ، وليس لمالك الأرض أن يحبسها إذا كانت الجماعة تحتاجها . فإذا زرعها بنفسه فما يخرج منها فهو له بعد أن يدفع زكاة الزرع ؛ وهى ضريبة يقررها الإسلام على الخارج من الأرض ، فإن لم يتمكن من زراعتها بنفسه وأسلمها إلى غيره فليس له إلا حق الملك والرقبة دون مقابل ، أعنى أنه لا يحل له أن يأخذ كراء لأرضه ، وعليه إذا أراد أن ينال حصته من الثمار أن ينفق على زراعتها ، وتكون حصته فى الناتج مناسبة لما أنفق ؛ فلو كانت تكاليف الزرع كله عشرة وحدات واشترى هو البذر والسبخ بخمس وحدات فله بذلك نصف الناتج ، وليس للأرض جزاء فهى من قدرة الله وصنعه ، وبمعنى آخر لا كراء فى الأرض ولا إيجار[1] .

وواضح أن الأرض الزراعية تختلف عن سائر العقارات فهى لا تستهلك بزراعتها بل علها تزداد خصوبة ، فإذا أهملت قلت خصوبتها . ولو فرضنا أنها لا تفقد شيئاً من خصوبتها ولا تزداد فإن العامل الأساسى أنها لا تفنى بالاستخدام ، والعامل الإنباتى ليس من صنع البشر فليس من الحق فى شىء أن ينال صاحب الأرض شيئاً

---

(١) نشرنا للأستاذ الكاتب فى أعداد السنة الأولى من « المسلمون » سلسلة مقالات بعنوان « استغلال الأرض فى الإسلام » بين فيها وجهة النظر فى استغلال الأرض الملخصة هنا .

وقد وردتنا مقالة من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الحامد الحموى تبين وجهة نظر أخرى سننشرها بعد استكمال مقالات هذه السلسلة إن شاء الله .

« التحرير »

ليس من كسبه ولا نتيجة عمله . قد يعترض بأن من الناس من ينفق الكثير لاستصلاح أرض مّا فتصير أغنى من غيرها وأكثر إنتاجا ، فإن تركها لغيره يزرعها فمن حقه أن ينال فائدة وجزاء نظير ما أنفق عليها . وهذا اعتراض وجيه والرد عليه هو أن الذى يمكنه استصلاح الأرض يمكنه أن يزرعها وليس هناك من داع لتركها للغير يزرعها له نظير جُعْل ثابت ، كما أنه لو فرضنا هلاك المحصول أو أغلبه نتيجة كارثة طبيعية كاجتياح جراد أو نزول صقيع أو فتك حشرة ، فإن خصب الأرض لن يغنى زارعها شيئاً ، وسيخسر المسكين عمله وما أنفق على الأرض من سبخ وبذر ورى .. الخ ، وفوق كل هذا يلتزم بدفع مبلغ معين المالك كإيجار . إنما أنفقه المستأجر تنتفع به الأرض ويبقى بها ، فسبخها فيها وفلاحتها تزيد من خصوبتها ، وفوق هذا يأخذ صاحبها إيجارا بينما الزارع يخاطر وعليه الغرم أبدا والمالك له الغنم دائما . وليس هذا من شرعة الحق فى شىء . فإن قيل يحق لصاحب الأرض أن يأخذ نسبة الثلث أو الربع مثلا نظير أرضه قلنا إن ذلك لا يغير من الموقف شيئاً إذ سينال المالك الغنم ولن يناله غرم أبدا . ولو تصورنا أن الرجل الفالح أنفق مائة وحدة من وحدات الإنتاج فى تلك الأرض وأن الناتج لم يتجاوز الخمسين مثلا ، نتيجة وباء أو كارثة طبيعية فبأى حق ينال المالك ثلث الخمسين أو ربعها ؟ .

هما مبدآن إذن يحتمان انتفاء إعطاء أجر لصاحب الأرض نظير انتفاع الفلاح بأرضه : مبدأ الإنبات الطبيعى ومبدأ الغنم بالغرم . وإنى لأحسب أن هناك وجه شبه كبير بين كراء الأرض بجعل ثابت وإقراض المال بفائدة ثابتة ؛ كلاهما غير جائز ، بل إن جازت الفائدة لاحتمال ضياع رأس المال فلن يجوز الكراء لانعدام مثل هذا الاحتمال . هذا من الناحية الاقتصادية البحتة ، أما من حيث مصلحة المجتمع فإن الإسلام لا يرضى لفرد يعيش فى مجتمعه أن يكون عالة على غيره ، بل هو يحرص على أن يعمل كل فرد بنفسه ، وأن يأكل من عمل يديه . فالاعتراف بمبدأ الكراء اعتراف بمبدأ وجود طبقة لا تعمل ، وتعيش على ما ترثه من ثروات تتركها فى يد غيرها من الأفراد يستثمرونها على مسئوليتهم ، ويقنعون هم بدخل ثابت غير منقوص .

وواضح أن هذا الوضع لا ينطبق على المساكن والمبانى ، فهذه رؤوس أموال ثابتة تُستهلك على آماد طويلة ولكنها تحتاج دواما إلى رعاية ، وسواء سُكن المنزل أم لم يسكن فهو يفنى يوما بعد يوم وسيأتى الوقت إن عاجلا أو آجلا الذى يندرس فيه المبنى ويصبح أثرا بعد عين . ثم إن المسكن عبارة عن خلق منفعة يستحدثها البانى أو المالك وينفق عليها من مدخراته ؛ فإذا تهدم المنزل بحكم البلى اندثر المال المستثمر فيه وانعدم ؛ فالإيجار هنا يعادل جزءاً من رأس المال المستثمر ، وقد يزيد عليه ما دامت المساكن الموجودة لا تفى بحاجة السكان ، وما دام النظام الاقتصادى الحاضر قائما على أسسه النقدية التى تحد من نمو رأس المال . وسنرى فيما بعد أن تطبيق النظام الإسلامى لن يلبث أن يجعل إيجار المساكن معادلاً لمجموع المال المستثمر فيها زائدا نفقة الصيانة لا غير .

التطبيق العملى :

عرضنا فيما سبق موجزا خاطفا للأوضاع الاقتصادية الراهنة وللنظرة الإسلامية من ناحيتها العلمية والفلسفية ، ونحن نبين فيما يلى كيف يمكن أن تطبق هذه النظريات شيئاً فشيئاً حتى تفى أحسن الثمرات . ونذكر القارىء بهذه المناسبة أن الإسلام كلٌ لا يتجزأ ، وأن تطبيق بعض نظرياته دون البعض ليس بالممكن ، لذلك فلن تطبق النظرية الاقتصادية هنا بأكلها ما لم تطبق النظريات الإسلامية فى سائر نواحى النشاط البشرى . وأبسط مثال يُضرب لتوضيح هذه الفكرة هو أن الربا قد حرم تشريعا واقتصادا . فما لم تطبق الشريعة الإسلامية ويصدر الحاكم أمره الذى يعاقب على الربا وترفض المحاكم دعاوى الربا كلها فإن النظرية الاقتصادية وحدها ستصطدم بعقبات كثيرة ، بل الأرجح أن يظل الربا قائما بعض الوقت حتى تتدخل الدولة فتحرمه .

نظرية الاقتصاد الطبيعى الحر :

أشرنا فيما سبق إلى ما قال به سيلفيوجيزيل من ضرورة اعتبار النقد كسائر السلع تنسحب عليه سنة الهلاك ، وقلنا إن هذه الفكرة مطابقة لما جاء به الإسلام من قبله . والفكرتان مشتقتان من سنة الوجود وناموس الحياة ونظامه ، وهما فى الواقع متطابقتان

فى المبدأ وهو ضرورة فرض ضريبة اختزان على النقد باعتباره ممثلا للسلع والخدمات ولا يصح بحال أن يحتجز إلا بشرطه ، فإذا كان مَن معه نقود يعلم تماما أنه سيدفع عنها ضريبة إذا هو أبقاها معه جزاء سوء استعماله للنقد وإضراره بالغير إذ هو منع عن بعض المنتجين بيع منتجاتهم ، إذا علم من معه نقد هذه الحقيقة فسيعمل جهده للتخلص من النقد وذلك بإنفاقه فى أحد وجهين : إما لإشباع رغبة مباشرة ، أى فى شراء سلعة أو خدمة ، وإما فى استثمار آجل . ولا شك أن كلا الأمرين يؤدى إلى سرعة تداول النقد وضمان تصريف المنتجات . . ويكفى أن نتخيل حرص كل فرد على إنفاق ما معه والتصرف فيه لندرك مدى ما سيصيب القوى الإنتاجية من نشاط ، ومقدار ما سينهال على المستثمرين من رأس مال خال من كل ربا . واضح جدا أن هذه الفكرة إذا طبقت ستؤدى حتما إلى زيادة الطلب على السلع والخدمات ومعنى هذا زيادة الطلب على العامل وارتفاع أجره حقيقيا أم اسميا (الأجر الاسمى هو مقدار النقود التى يتعاطاها العامل نظير عمله ، والأجر الحقيقى هو مقدار ماتشتريه هذه النقود من سلع وخدمات) . ولا شك أن هذه الدفعة من الرواج سترتفع بربح المنتجين ، وبمجرد ارتفاع الربح مع حرص أصحاب النقود الفائضة على استثمارها سيؤدى إلى منافسة شديدة بين المكافلين Entrepreneurs لا يلبث أن يهبط بمستوى الربح بعد سنين قليلة وزمن قصير لا يتعدى بضع سنين (تتوقف المدة على وضعية النظام الاقتصادى فى كل بلد على حدة ، ففى البلاد الزراعية التى بدأت فى تصنيع اقتصادها يحتاج الأمر إلى وقت طويل إذا كانت الغاية الاكتفاء الذاتى ويقصر إذا انصرف أكثر المجهود إلى الرقى بالصناعة والتخصص فيها ومبادلتها مع البلاد الأخرى بالمواد المصنوعة . أما فى البلاد الصناعية فتكون المدة أقصر بطبيعة الحال نظرا إلى يسر إنتاج الآلة المنتجة) .

وحيث أن كل إنتاج جديد سيؤدى إلى موجة جديدة من الرخاء فإن الخوف من حدوث أزمات انتكاسية سيكون من الضعف بحيث يمكن إهماله . لا شك أنه ستكون هناك حالة من عدم الاستقرار أو التخلخل Dislocation[1] فى بادئ

(١) يكون التخلخل فى حالة إفلاس بعض المنتجين وما يتبع ذلك من تشريد بعض العمال المتخصصين كما يحدث فى حالة الاختراعات الجديدة التى قد تقضى على بعض الصناعات القديمة بحكم عامل المنافسة وزيادة الكفاية الفنية فى الإنتاج . كما قد يؤدى الربح فى بادئ الأمر إلى إغراء الكثيرين بالإنتاج فى فروع معينة دون أن يكون هناك طلب حقيقى عليها ، ولن يضير هذا كثيرا لسهولة التحكم فى كمية النقود كما سنشرحه فيما يلى .

الأمر ، ولكن ذلك لن يطول إذ سيستحوذ على الأفراد شعور بالطمأنينة يزداد تدريجياً بتطبيق مبادئ الإسلام التكافلية وبنمو الدولة الإسلامية حيث تضمن الدولة للأفراد المأكل والملبس والمسكن ، ووسائل النقل والتعليم وأداة الدفاع عن النفس . وحينما تتوافر هذه الضروريات سيكون همّ الفرد استثمار فائضه فيما يعود عليه بالنفع ، ولن تكون مشكلة التقاعد كبيرة مما يدعوه إلى التوسعة فى الإنفاق ، وهذا بدوره يؤدى إلى توسع جديد فى الإنتاج لن يلبث أن يعود على العامل بفائدة من وجهين : الأول ارتفاع الأجر الحقيق ، والثانى زيادة الطلب على العمل لمقابلة الطلب المتزايد على السلع .

أما كيف يتم إجبار الناس على الإنفاق من الناحية التطبيقية فإن اقتراح جيزيل فيما نعتقد يحقق الفكرة الإسلامية على أحسن وجه ، ويحل المشكل أرضى حل . والاقتراح من البساطة بمكان ، وقد طبق فعلا هذا النظام فى إحدى بلاد النمسا فلاقى نجاحاً منقطع النظير . والفكرة هى أن تلغى جميع النقود المعدنية اللهم إلا النقود المساعدة ذات القيم الصغيرة (مثلا تلغى جميع النقود المعدنية من فئة القرشين فأكثر وتفرض ضريبة على جميع النقود الورقية (من فئة خمسة قروش فأكثر مثلا) مقدارها على سبيل المثال ١٢٪ فى السنة . ويطبع على ظهر كل ورقة نقدية اثنا عشر مربعاً مرقوماً ، ويجبر حامل الورقة على إلصاق ورقة الضريبة فى المربع المرقوم فى أول كل شهر . وتسحب الورقة من التداول آخر كل عام . ففى أول مارس مثلا يجب أن يكون ملصقاً على ظهر ورقة نقدية من فئة الجنيه المصرى ثلاث ورقات ضريبية قيمتها خمسة عشر مليما وبغير هذه الورقة الضريبية لا يقبل الجنيه فى التداول رسمياً .

ومعنى هذا أن كل من يكسب من عمله جنيها فسيحاول جهده التخلص منه حتى لا يدفع هذه الضريبة المالية . فأما الفقير فإنه لن يتأذى فهو ينفق أكثر ماله إن لم ينفقه كله ، ولن يجد أية غضاضة فى هذه الضريبة الجديدة إذ لا يكاد يحس بها .

أما الميسور فإنه سيلزم أمرين : أولهما أنه سينفق عن سعة ، وثانيهما أنه سيبحث أبدا عن مجال يستثمر فيه ما فاض من ماله ! !

الاستثمار الجديد :

من أجل ذلك فهذا النظام لا يتم إلا بإنشاء مؤسسة مركزية تقوم عليها الدولة ، تقبل من الناس فائض أموالهم وتستثمره لهم أو تبقيه كوديعة وتتحمل الدولة الضريبه ، أو إن شئت فقل تعفى المستثمر لديها من الضريبة . وواضح أنه لا ضرر من ذلك بل فيه ربح محقق ، إذ المشهور أنه فى حالة البنوك الإيداعية أى حيث يودع الناس أموالهم فى المصارف المعروفة يحتجز المصرف حوالى ١٠ — ١٢ ٪ من مجموع الودائع فى شكل نقود سائلة Liquid Money أو Cash ويستثمر الباقى لحسابه وهو يجنى من وراء ذلك ربحا وفيرا . ولهذا فإن الإيداع لدى « صندوق الاستثمار » سيعود بربح محقق على الدولة تغطى الضريبة النقدية إن لم تزد عليها ، ويمكن لكل شخص أن يودع فى هذا الصندوق على شكلين : إما أن يطلب استثمار ماله ويعطى شهادة بذلك على غرار ماتفعل شركات الاستثمار الأمريكية Investment Corporation وإما أن يبقى المال فى شكل وديعة جارية : أى له حق سحبها حينما يريد دون أن يتحمل خسارة فى القيمة الاسمية لماله . وفى الحالة الأولى يستثمر الصندوق الودائع الثابتة فى شراء أسهم مختلف الشركات الإنتاجية ، ثم يوزع على المودعين متوسط الربح الذى يحصل عليه كل بنسبة ما ساهم به وذلك بعد احتجاز مصروفات الصندوق . وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن الذى يدخر مالاً بقصد استثماره لن يحتجز المال لديه بل إن هذا المال سيخرج فى الحال عن طريق صندوق الاستثمار ، ويرجع إلى التداول فى شكل أجور للعمال أو ثمن لآلات إنتاجية أخرى الخ . وأن الربح الذى سيوزع غير معروف ولا ثابت وأنه سيتناقص تدريجيا مع تناقص الرغبة فى التوسع الإنتاجى . ذلك أن شدة الطلب التى ستنشأ مباشرة عقب تطبيق هذه الفكرة ستغرى الكثيرين بالنزول فى حلبة الإنتاج ، خصوصا وأن سعر الاقتراض سيكون صفرا أو قريباً من الصفر ، ولا يزال هؤلاء المكافلون فى تنافس شديد يحد من أرباحهم خصوصا وأن كثرة الإنتاج ستؤدى بطبيعة الحال إلى شدة الطلب على العامل ، ومن ثمَّ إلى زيادة أجره ، وهذا يزيد من ثمن التكلفة ويقلل من الأرباح ؛ وقلة الأرباح ستؤدى إلى تقليل حصة المستثمر .

نعم إن هذا الوضع لن يكون إلا بعد زمن ليس بالقصير على أية حال، إلا أنه لا خطر منه ولا خوف إذ لن يضار مستثمر أبدا . كما أن انخفاض الربح الناشىء عن كثرة الإنتاج سيؤدى إلى رغد حقيق، وبعبارة أخرى إلى ارتفاع الأجر الحقيق وثبات القيم النقدية .

مستوى الأسعار :

إذا طبق هذا النظام فلا مناص من البحث عن وسيلة محكمة تتمكن بها من تثبيت القوة الشرائية للنقد، إذ بدون هذا التثبيت يتعرض هذا النظام لأخطار كثيرة . والواقع أن التثبيت يجب أن يكون غاية من غايات هذا النظام حتى يستقيم وصف النقود كمقياس لقيم الأشياء، وحتى يكون التبادل عن طريق النقد مضمون العاقبة . ويكفى لتصور أهمية التثبيت أن تتصور أنك ستدفع ١٠٠ وحدة نقدية (تعادل ١٠٠ وحدة من سلعة ا) إذا أردت الشراء اليوم بينما تتوقع انخفاض القيمة إلى ٧٥ وحدة مستقبلا أو ارتفاعها إلى ١٢٠ مثلا بعد ستة أشهر . إن مثل هذا الوضع سيؤدى حتما إلى أنواع من المضاربة التى يكسب فيها البعض الكثير ويخسر البعض الآخر مايساوى هذا الكثير (فكسب الفرد خسارة الآخر فى كل مجتمع) وكل مضاربة تزعزع من الثقة حتما، إذ لا مناص من وجود أخطاء فى التقدير تؤثر بدورها فى الإنتاج وبالتالى فى الاستهلاك .

أما كيف تثبت القوة الشرائية فى نظامنا الجديد، فإن ذلك يتم بالطرق المألوفة ولكنه يكون أسهل تنفيذاً فى الاقتصاد الإسلامى الحر . ذلك أن الدولة إذ تصادر حوالى ٦٪ من قيمة النقد المتداول فى شكل ضريبة نقدية يمكنها بسهولة أن تقلل من النقد المتداول، كما أنها فى موقف يسمح بزيادة هذه الضريبة وغيرها لتمتص الزائد من النقد خصوصاً إذا استعملت سياسة الانكماش عن طريق صندوق الاستثمار . ولنوضح هذا نعود فنذكر أن مالك النقود سيضطر إلى أحد أمرين إما إنفاقها كلها أو ادخار جزء منها، ونظراً لأن الادخار هو الاستثمار بعينه فسيعتمد كثير من المدخرين إلى صندوق الاستثمار نتيجة زيادة دخولهم الرسمية . وظاهر أن شراء شهادات هذا الصندوق هو بمثابة شراء مُناظر لتلك التى تسمى حالياً سياسة السوق

المفتوح Open market policy . ذلك أن الحكومات حاليا إذا أرادت أن تقلل من النقد المتداول تدخل سوق الأوراق المالية بائعة بعض الأوراق، وبهذا تسحب من السوق كمية النقد التى ترى أنها فائضة (والعكس فى حالة الرغبة فى زيادة النقد المتداول إذ تشترى الحكومة أوراقاً من السوق وهى إذ تدفع الثمن نقداً إلى الأفراد تضع فى أيديهم قوة شرائية جديدة) . هذه السياسة يمكن أن تتبع بشكل آخر عن طريق صندوق النقد ، فيأخذ الانكماش صورة بيع شهادات استثمار . والفارق أن هذه الشهادات لن تكون موضع مضاربة إذ ليس هناك مال مختزن متربص للغرض (اللهم إلا الودائع وهذه لن تكون كبيرة القيمة نظراً لأن الصندوق لايدفع فائدة لها ولانعدام نظام الودائع الثابتة) . بل إن الأفراد أنفسهم سيفضلون دائماً الحصول على الشهادات إن أحسوا أن مستوى الأسعار فى وقت ما قد زاد عما يجب عليه حتى إنهم يفضلون الاستمتاع الآجل على الاستمتاع الراهن . ولهذا يشترون هذه الشهادات فتكون كصمام أمن ذاتى (أتوماتيكى) يوقف موجة الارتفاع .

أما إذا أرادت الدولة أن تزيد من كمية النقد المتداول فيكون ذلك عن طريق إنقاص الضريبة النقدية وغيرها من الضرائب ، كما يكون عن طريق شراء شهادات الاستثمار : أى تتخذ عكس النظام المشروح فى الحالة المضادة .

ونحب أن يكون واضحاً أن تثبيت القوى الشرائية لن يكون مطلقاً بل سيكون أمراً شاقاً فى البداية ، إذ أن التثبيت يعنى إيجاد نسبة ثابتة بين كمية النقد المتداولة ومجموع الإنتاج الداخلى فإذا زاد الإنتاج فيجب أن تزيد النقود (ويلاحظ أن سرعة تداول النقد فى النظام الجديد ستكون ثابتة على وجه التقريب نظراً لأن طبيعة هذا النظام تقوم على هذا الأساس من التداول) والعكس صحيح . فإذا انخفض الإنتاج فيجب تقليل كمية النقد وبهذا نحتفظ للنقود بقوتها الشرائية .

ولا شك أنه من المحتمل أن تطرأ أحوال تقتضى عدم اضطراد هذه القاعدة . وهذا احتمال كبير تزداد أهميته بازدياد الاضطراب فى الموازين الحسابية للدول التى تطبق هذا النظام .

وإن مجرد تصور اختلال فى هذه الموازين يعنى ضرورة التوفيق بين قاعدة تثبيت القيمة الداخلية للنقد ووجوب تركها تتذبذب لتقابل الخلل فى الميزان الحسابى . وسنعرض لهذا إن شاء الله حين معالجة موضوع سعر الصرف والتجارة الخارجية .

والمهم هنا هو أن نعترف بأن القوة الشرائية للنقد (فى الداخل) لن تكون جامدة تماما ولكنها ستتذبذب لتمشى مع التغييرات التى تطرأ على الإنتاج الداخلى ومستوى الصرف الخارجى ؛ ولكن لن يلبث هذا التذبذب أن يعود إلى مستواه العادى وذلك فى الأجل القصير ، نظرا لأن الخلل فى الموازين الحسابية هو خلل قصير الأجل بحكم تعريفه وطبيعته ، ولأن سيطرة الدولة على كمية النقود المتداولة سيطرة كاملة .

« الخاتمة فى العدد القادم »



حرب دينية

(إنه من الواجب القيام بحرب دينية يُستخلص بها القبر المقدس وتوضع بلاد يسوع تحت حراسة أمير مسيحى وحماية مجموع الدول العظام !)

« دوفاريك »
من علماء القانون

باب الكتب : نقد وتعريف

١ — العبادات فى الإسلام ، للأستاذ محمد إسماعيل عبده ، المعيد بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ٤٣٩ ص ك ، نشر مكتبة وهبه حسن وهبه بمصر سنة ١٩٥٤ .

هذا الكتاب جاء فى إبّانه ووقت الحاجة إليه ، فهو يلبى حاجات الراغبين من المسلمين وغير المسلمين فى معرفة ما فرضه الله علينا من عبادات (الصلاة والصوم والزكاة والحج) وأسباب مشروعيتها ، وما قامت عليه من أصول وترمى إليه من حِكَم وأهداف . وقد بذل مؤلفه الفاضل فيه جهده ليكون عملا علمياً جيداً ، وقد وفق بحمد الله إلى ما أراد ، فهو حسن التبويب والعرض ، واضح الأسلوب ، ويعتمد على كثير من المراجع الموثوق بها القديمة والحديثة أو الأصيلة وغير الأصيلة بتعبير آخر .

وقد رأى المؤلف بحق أن يكون حرّا فى البحث غير مقيد بمذهب بعينه من مذاهب الفقه المعروفة ، وذلك أن يعتمد قبل كل شىء على القرآن والسنة ، فهو يقدم بين يدى كل بحث ما يعتمد عليه من كتاب الله المحكم وسنة رسوله الصحيحة ، ويحاول التوفيق بين ما قد يبدو متعارضا من النصوص أو يختار من بينها (ص٧٤ — ٧٨ مثلا) . وقد قدم صديقنا الفاضل الأستاذ الشيخ محمد الزفزاف ، أستاذ الشريعة الإسلامية بدار العلوم ، بمقدمة طيبة كشفت عن مزايا هذا الكتاب (ص ٤ — ٥) ، وهى ميزات من حق الكاتب أن يفخر بها ويحمد الله على أن وفقه إليها .

وإذا أردنا بعض المُثُل لحسن التبويب والعرض ، لنا أن نشير إلى هذه المناوين :

١ — « الاجتماع على الصلاة » ويريد به صلاة الجماعة ، فقد عرض فيه (ص٤٩ وما بعدها) إلى المساجد وأفضلها وعمارتها وقداستها ، وإلى صلاة الجماعة وما ينبغى للإمام والمأموم ، ثم أخيراً إلى صلاة الجمعة ووجوبها وخطبتها وآدابها .

٢ — « النوافل المرتبطة بأسبابها » ويريد بها ما ليس من السنن المعروفة .

فقد جعل منها ما يرجع إلى الإعجاب بآيات الله : صلاة الكسوف والخسوف ، وما يرجع إلى الطمع فى فضل الله : صلاة الحاجة والاستسقاء والاستخارة (ص ١٧٧ وما بعدها) .

٣ — « الجنائز » (ص ١٨٣ وما بعدها) . وهنا يعرض إلى ما يكون قبل الموت : عيادة المريض ، عدم تمنى الموت ،الانتحار ، إحسان الظن بالله فى هذه الحالة . ثم ما يكون عند الموت مما يلزم للمتوفى وأهله ، ثم ما يكون بعد الدفن من الدعاء الميت وتعزية أهله وزيارة القبور وأحكامها .

وهكذا ، نرى من هذه المُثُل ، وغيرها كثير ، شغف المؤلف بروح التبويب والتنظيم وعملية التحليل والتركيب بالجمع بين المتناسبات والتفريق بين المختلفات من البحوث والموضوعات ، وذلك لعمرى منهج علمى سديد ، وهو غير ما نراه فى كتب الفقه المعروفة من الأحكام التى تسرد سردا بطريقة يمل منها القارئ .

ولم ينس الأستاذ أن يستعين بالرسم والتصوير حين الحاجة إليه ؛ وذلك — مثلا — فى بيان حدود الحرم ومواقيت الإحرام ، والطريق من مكة المكرمة إلى منى وعرفات .

وفى الكتاب مع ذلك كله نظرات لا يعوزها العمق والإحاطة ، ونراها مبثوثة فى تضاعيف الكتاب ؛ مثل بحثه فى التيمم وحكمته (ص ٩٠) ولماذا لا تجوز قراءة الفاتحة مترجمة فى الصلاة خلافا للأحناف (ص ١٢٤ — ١٢٥) ، ووجوب الزكاة عن الأوراق المالية ونحوها (ص ٢٦٤ — ٢٦٥) .

وأخيرا ، هذا كتاب لم يسبق صاحبه فى مجموعه إليه من أحد من الشبان المعاصرين . ولهذا يفيد منه القراء أكبر فائدة ، ولا عجب ! فكاتبه نال حظا وافرا من ثقافة الأزهر الدينية الإسلامية ، ثم صقلته بعد ذلك دار العلوم ؟

دكتور محمد يوسف موسى

* * *

٢ — فقه الـكتاب والسنة ، البيوع والمعاملات المالية المعاصرة
للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، أستاذ الشريعة
الإسلامية بجامعة القاهرة ، نشر وطبع دار الـكتاب العربى
بمصر ١٩٥٤ ، ٢٠٧ ص لـ .

١ — للأستاذ الـكبير الدكتور محمد يوسف موسى نشاطه المبارك الموفور ، فى ميدان الإنتاج العلمى الرفيع . وهذا الـكتاب الذى نعرّف به اليوم — فى طبعته الثانية — يقدّم للباحثين فى الفقه الإسلامى منهجا جديدا ، ثم تطبيقا لهذا المنهج فى المعاملات المالية المعاصرة ، فهو بحث علمى قيم توافرت له كل أدوات البحث ووسائله ، فجاء سليم المنهج ، مسدّد الخطوات ، عظيم النتائج ، وبلغ من الدقة والعمق مبلغا ما نشك فى أنه كلف الأستاذ الجليل جهدا غير يسير .

٢ — ولقد حفز الأستاذ الفاضل إلى تناول هذا الموضوع فى دروسه لطلبة دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق ، ثم إلى تسجيله فى كتاب ما قرره فى افتتاحية البحث من أنه قد « اشتدت الدعوة إلى أن تقوم نهضتنا فى التشريع والقانون على أسس قوية من فقه كتاب الله المحـكم وسنة رسوله الصحيحة ، وهذا لا يتحقق إلا بوضع منهج سليم لاستخلاص الفقه من هذين المصدرين القدسين ، ثم تطبيق هذا المنهج تطبيقا يشمل ما نراه من التصرفات والمعاملات المالية المعاصرة ، وبذلك يمكن أن يسير هذا الفقه إلى الأمام دائما ، ويتجدد بعد طول ركود » [ص ٣] .

٣ — وقد حدد لبحثه القيم هذا المنهج :

(١) مقدمة فى بيان الشريعة والفقه ، والفرق بينهما ، وأثارة تاريخية .
(٢) القسم الأول فى الـكتاب والسنة ، وبعض البحوث الهامة المتعلقة بهما .
(٣) القسم الثانى فى البيع ، على النحو الذى ألفناه من قبل فى كتب الفقه .
(٣) القسم الثالث فى بعض المعاملات المالية المعاصرة التى تجرى فى سوق العقود وغيرها بمصر .

ثم مضى فيه على هذا الترتيب حتى نهايته ، فلم يكد يخلو أحد أقسامه من جديد مفيد . . .

٤ — فى القسم الأول ، حيث الحديث عن الكتاب والسنة ، ومنزلة السنة من الكتاب — يعرض الأستاذ الجليل لبحثين كلاهما وثيق الصلة بالحياة الحاضرة ، أما الأول فيثبت فيه أن السنة ضرورية للكتاب ، ومعه ؛ لأنها بصريح النص — بيان له (وهو بهذا يرد على الأستاذ الشيخ محمد جواد مغنية رئيس المحكمة الشرعية العليا ببيروت ، فيما ذكره خاصا ببعض اجتهادات الشيعة الإمامية ، من أن بعض ما أخبر به الرسول لا يجب التدين به بعد العلم بصدوره عنه) ص ١٦ — ١٧ ، وأما الثانى فيرد به على كاتب من حلب هو الأستاذ محمود اللبابيدى فيما زعمه من أن القرآن ما زال حتى اليوم قابلا للنسخ ؛ لأن التشريع الآن للأمة . [والمقالان كلاهما نشرتهما رسالة الإسلام فى العدد الرابع من السنة الرابعة] .

٥ — وهنا ، يعرض الأستاذ البحاثة لرأى نجم الدين الطوفى [فقيه حنبلى توفى عام ٧١٦ هـ] فى المصلحة ، ووجوب تقديمها على النص إذا عارضها ، فيرى أنه قريب من القول بقبول القرآن للنسخ ، وأنه رأى خاطىء عن علم أو اجتهاد ، بصرف النظر عن عقيدة قائله ونزعاته [ص ١٨] ثم هو يعود إلى هذا الموضوع عندما يتكلم عن النسخ ، وهناك فى [ص ٣٨] يقرر « أنه من ضلال الفكر والرأى ما ذهب إليه أمثال نجم الدين الطوفى ، ومن أخذ إخذه من الكتاب المعاصرين ، من جواز نسخ النص (القرآن والحديث) تبعا للمصلحة كما يزعمون ، وإلا لرأينا القرآن هدفاً للتغيير والتبديل فى أحكامه حسب الزمان والمكان ، وهذا مالا يرضاه مؤمن بالله وكتابه » .

٦ — وفى ختام هذا القسم الأول من الكتاب ، يحدد الأستاذ المؤلف منهاج البحث فى تسع خطوات هامة ، وينادى بضرورة الرجوع إلى الكتاب المحكم والسنة الصحيحة لاستمداد الأحكام منهما ؛ لأن فى هذا خيرا كثيرا ، « وبخاصة فى هذه الأيام التى تحفل بمشاكل لم يتعرض الفقهاء فيما مضى لها جميعا ، وتلك طبيعة الزمن الذى يتغير دائما ، وتحدث فيه نوازل جديدة من آن لآن ، فتطلب أحكاما شرعية لها » [ص ٤٦] . لكنه يحذر بشدة من الأخذ المباشر من هذين المصدرين الأصليين المقدسين دون تهيؤ بما يجب لهذا من مؤهلات وعلوم ودراسات لابد منها ؛ فإنه حينئذ فوضى خطرة لا ينبغى أن يسمح بها بحال » [ص ٤٦] . . .

٧ — وفى القسم الثانى من الكتاب يتناول العالم البحاثة البيع وما يتصل به من بحوث ، فيتحدث عنه بوصفه نظاماً معروفا منذ القدم ، وعن شرعيته وابتنائه على الرضى ، وعن الخيارات ، وعن الرضى : معناه ، وصور التعبير عنه ، وأثر قوته فى حالاته الست ، ثم عن شروط البيع ، وآثاره ، وعن العقود غير الصحيحة بنوعيها ، والبيوع المنهى عنها . . . يتناول كل ذلك فى شىء من التفصيل ، ومع اهتمام بالغ بتعليل الأحكام التى يذكرها ، فتربو الصفحات التى يستغرقها هذا القسم على مائة [٤٧ — ١٥٦] حتى إذا ما فرغ منه تحدث فى القسم الثالث عن المعاملات المالية المعاصرة . .

٨ — وهذا القسم يبدأ بتمهيد عن واجب الفقيه ، ومهمته « فى هذا العصر الحافل برجال القانون الوضعى فى الغرب والشرق » . والأستاذ المؤلف يذكر أن مهمة الفقيه « تقتضيه فهما عميقا للمصدرين الجليلين المقدسين للشريعة الإسلامية ، وإحاطة بأدلة الأحكام الشرعية ، ومعرفة بعلل الأحكام ومسالكها ، وقدرة على الموازنة والترجيح عند تعارض الأدلة ، ووقوفاً على الأعراف فى البلاد الإسلامية المختلفة ، إلى غير ذلك مما يجب أن يتوافر فى الفقيه الذى يستأهل هذا الوصف الجليل » [ص ١٥٩] ثم يقرر أنه سيكتفى فى هذا البحث بما يختص بالقطن خارج البورصة وداخلها ؛ لأن كل ضرب من ضروب المعاملات المالية والتجارية المعاصرة يحتاج إلى بحوث خاصة مستقلة [ص ١٦٠ — ١٦١] .

٩ — بعد هذا يدرس المؤلف الفاضل أعمال البورصة ، ويبيّن الفرق بينها وبين السوق ، ثم يوازن بين الأسواق فى مصر وفى أوربا ، ثم يدرس سوق القطن وعملياته دراسة مستفيضة يخلص منها إلى رأى الفقه الإسلامى فى عملياتها جميعا [١٧٤ — ١٧٨] ، ثم يبحث ما يجب بحثه من العقود التى يمر بها القطن فى مختلف مراحله ، على ضوء الفقه الإسلامى وهى :

(١) بيع القطن قبل وجوده بسعر قطعى ، أو بسعر يحدده البائع فى مدة معينة أو بسعر سوق العقود فى يوم معين .

(٢) بيع قطن موجود فعلا بسعر يحدد حسب الطريقة السابقة .

(٣) البيع بين المورد والمصدر .

وهو بحث جديد ممتع يستغرق الجزء الأخير من الكتاب [١٧٩ — ١٩٧] ، وينتهى بدعوة مخلصة إلى فتح باب الاجتهاد فى المعاملات على مصراعيه ، ولكن للقادر عليه فقط ، وعلى أن نسير فى كل مانذهب إليه من أحكام فى فلك القرآن والسنة دائما ، ويشترط أن نعرف علل الأحكام التى جاء بها هذان المصدران القدسان ، فنجعل الأحكام تدور معها وجودا وعدما ، وبشرط أن نحيط خبراً بمقاصد شريعتنا الخالدة [ص ١٩٧] .

وأخيراً فهذا البحث الفقهى مثال ممتاز للفقه الإسلامىّ كما ينبغى أن تعالج مشاكله فى هذا العصر .. هو ممتاز بمنهجه العلمى السليم ، وبموضوعه الجديد المتصل بالحياة أوثق اتصال ، وبالمراجع الأصيلة الكثيرة التى استمد منها . فلعل الأستاذ الكبير يتابع جهده المشكور فى هذا السبيل ، وله من الله المثوبة ، وحسن الجزاء عما يبذل فى سبيل دينه وقومه .

مصطفى زيد

مدرس الشريعة الإسلامية بدار العلوم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الحـــق

ولم أرَ مثـلَ الحق أما طريقهُ فأمنٌ وأما جارُه فعزيز

إذا ما امرؤٌ آوى إليه فحصنه حصينٌ ومأواه المبـاح حريز

« أبو المطرّف بن عميرة المخزومى »



* نذر لله .

أخى فى الله رئيس التحرير . . .

أحييك بما يحيي به الله عباده المؤمنين فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

منذ أن قابلتك فى الأبيض فى يناير عام ١٩٥١ م وأنا أتذكرك عند كل أذان مغرب وإن كانت تلك المقابلة سريعة ومضت كلمح البصر ، إلا أنها لحظات خالدة لأنها فى حقيقة القلب أعمار ، وفى صفحة الوجود أجيال ، وعند الله فى سفر الخلود ، فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة .

وإن كانت بيننا أبعاد ومسافات ، فللروح سبحات تطوى بها الأبعاد كطى السجل للكتاب .

إنها ألفة القلوب ، إنها من صنع الله وحده ، إنها السر الذى لاتستطيع دنانير الأرض مجتمعة أن تأتى بمثله ، وصدق الله العظيم « لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » فحمداً لله أن « جمع تلك القلوب على محبته وجملها نلتقى على طاعته وتتوحد على دعوته وتتعاهد على نصرة شريعته » فأنساها الحواجز الإقليمية والحدود الجغرافية ، وربطها برباط واحد هو رباط العقيدة فى الله ، ذلك الرباط الذى لا تحله أزمة مادية ولا اضطهاد بشرى ! فله الحمد وهو على كل شىء قدير .

ثم جاءت « المسلمون » فالتقينا فى ندوتها ، وحمدنا الله الذى وفق صاحبها لإعادة « الشهاب » فى اسم جديد . وكنت أقرؤها وأنا مطمئن حتى إذا تذكرت مجلة « الشهاب » شعرت بالإشفاق ؛ والله سبحانه وتعالى يقول : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » إن كل

مؤمن لابد أن يتوقع الاختبار والفتنة والامتحان «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟» .

ثم تغيرت ظروف بظروف ... وبينما كنت ومن معى غارقين فى هذه الأبحر من التفكير والتعليق إذا بنا نفاجأ بما يمزز هذا الإشفاق ، فاحتجب رفيق الخلوة وحديث الندوة وملهم الروح والفكرة !... لا !... أستغفر الله ... إنها ستظهر !! لأنها تحمل أمانة الدعوة إلى الله ، والله وحده كفيل بحفظها « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

ولقد نذرت لله أن أجمع لها عند عودتها عددا من المشتركين ، فلم يطل احتجابها ولم تلبث أن ظهرت مستأنفة جهادها ، فالحمد لله . وها قد جمعت لها عدداً من المشتركين ، وأسأل الله أن يجعله وفاء مقبولاً للنذر ، فإنى أخاف « يوماً كان شره مستطيراً » .

وأخيراً لى حديث إلى إخوانى القراء :

إنكم أيها القراء على اختلاف أماكنكم وبعدما لاشك قد حمدتم الله على أن عادت مجلتكم « المسلمون » ووصلكم ما تأخر من أعدادها . ولاشك أنكم تعلمون أن كل اشتراك فى مجلة « المسلمون » إنما هو تدعيم للفكرة الإسلامية واندحار للفكرة الإلحادية ، وهو فوق ذلك إرضاء لله تعالى ، وهذا غاية ما نبتغى جميعاً ، فهلا حاول كل منكم — شكراً لله على إظهار المجلة — أن يجمع لها عدداً من المشتركين ؟ إنكم لاشك تعلمون ما يقدمه هذا العمل من خدمة للإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من أخيكم المخلص

محمد ساتى محمد

بور سودان

* * *

شكر الله لك يا أخى محمد هذه العاطفة الكريمة ، وجزاك أحسن الجزاء عن هذا الشعور النبيل . لقد هزتنى كل كلمة فى رسالتك ، وأشعرتنى بنعمة من الله وفضل نعجز عن شكرها فى هذه الأخوة السامية فى الله . أدعو الله أن يتقبل نذرك أحسن القبول ، ويوفقك لما يحبه ويرضاه ، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

إن لبدنك عليك حقاً

بإشراف اللواء الدكتور أحمد الناقه

س ١ : لم يكن أخوه ضعيف ولكنه مات أثناء جراحة بسيطة .

ج ١ : كان ذلك كثير الحدوث فى الماضى : إما لوقوف القلب أو حركة التنفس من أثر البنج أو الجراحة . وقلّما نسمع بذلك اليوم بعد الخبرة والمران .

***

س ٢ : ماسبب الأرق وماعلاجه ؟

ج ٢ : إذا لم يكن ألم أو مرض فالسبب الهمّ والغم وإجهاد الذهن . والعلاج إزالة السبب ، ومنع المنبهات ، وتهيئة مايعين على النوم كالهدوء والفراش المريح ، والكف عن العقاقير المنومة خشية التعود عليها .

***

س ٣ : لين عظام الأطفال . ماسببه وما دواؤه ، وهل هو معد ؟

ج ٣ : سببه سوء التغذية وقلة الجير (كلسيوم) وفيتامين (د) وعلاجه الغذاء الجيد وخاصة لبن الأم وفيتامين (د) وحقن الجير . وقد يعين الهواء الطلق والشمس وفيتامين (ب) . وهو غير معد .

***

س ٤ : منذ سنة ظهرت على ذكره حبيبات مثل رأس الدبوس فما هى ؟ ويشعر بميل إلى البول وألم خفيف . يريد العلاج .

ج ٤ : أولا : حبيبات الذكر قد تكون طبيعية وليست مرضا .

ثانياً : يلزم فحص البول فإن وجد به صديد وجب علاج بنسلين أو سلفا .

***

س ٥ : بواسير كبيرة وسقوط بالشرج يخاف الجراحة فماذا يفعل ؟ .

ج ٥ سقوط الشرج حدث من إهمال البواسير مدة طويلة . لابد من الجراحة ، وكفى تأخيراً .

***

س ٦ : فتاة لها شارب . .

ج ٦ : الشعر الخفيف شيء عادى تكفيه « الحلاوة » أما الشعر الغزير فيدل على اضطراب الغدد ، ويعالج بالهرمونات .

***

س ٧ : أفرط فى العادة السرية ثم كف عنها . يريد دواء يقيه سوء العاقبة .

ج ٧ : الحمد لله الذى هداه . من تاب فلا خوف عليه ، ولا داعى للدواء .

***

س ٨ : فى أجزاء حساسة من جسمها عروق حمراء وزرقاء تخجل من زوجها .

ج ٨ : اجملى الحب والمودة وجمال الروح عدتك تختف العروق فى نظرة .

***

س ٩ : مغص كاوى شديد من حصاة بالكلية اليمنى يخشى عملية الجراحة وعودة الحصاة .

ج ٩ : اعملها وتوكل .

***

س ١٠ : يتسرب البول إلى فرجها ويسبب التهابا ورائحة كريهة ؟

ج ١٠ : هذا ناسور بولى عقب ولادة عسرة ، يعالج بالجراحة .

***

س ١١ : قشر الرأس ما دواؤه ؟

ج ١١ : دهان كبريت وحمض سلسيل وزيت مرة كل ثلاث ليال ، ثم غسل بماء دافئ وصابون كبريت فى الصباح .

***

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مع العارفين

ثور بن يزيد

« كان قلب ثور بين عينيه »

« يحيي بن سعيد »

تكاد لا تجد فيما ورد عن ثور خبراً عنه هو : كيف كان ، وكيف عاش ، ولكنك تقرأ له أشياء رواها ، بعضها مما قرأ ، وكان واسع القراءة ، وبعضها مما أسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وكلها يعطيك صورة عن نفسه ، وعن المعانى العالية التى شغلته فيما قرأ ، والتى اهتم بروايتها والتذكير بها . . .

قال : « مكتوب فى بعض الكتب : إن سرّك أن تعلم علم اليقين فأحب كل حين أن تغلب شهوات الدنيا . . — وقرأت فى بعضها « قل للذين يتظامأون ويتجوعون للبر ، أولئك الذين يأوون إلى حظيرة القدس عندى » .

وفى التوراة : « الذين يصلحون من الناس إذا تفاسدوا أولئك خصائص الله من خلقه » وفيها « إن الزناة والسراق إذا سمعوا بثواب الله للأبرار طمعوا أن يكونوا معهم بلا تعب ولا نصب ولا مشقة على أبدانهم ، ولا مخالفة لأهوائهم ، وهذا مالايكون »

وروى عن عيسى عليه السلام : « يامعشر الحواريين كلموا الله كثيرا وكلموا الناس قليلا — قالوا وكيف نكلم الله ؟ قال : اخلوا بمناجاته . . . اخلوا بدعائه . . . »

وفى الإنجيل : الحجر فى البنيان من غير حلّ عربون خرابه !

وروى عن بشر الشامى قوله « لكل العباد همّ ، فهموم خير وهموم شر »

وقال هو : إذا وقف السائل على الباب وقفت الرحمة معه ، قبلها من قبلها ، وردها من ردها ، ومن نظر إلى مسكين نظر رحمة نظر الله إليه نظر رحمة ، ومن

أطال الصلاة خفف الله عنه القيام يوم القيامة (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ، ومن أكثر الدعاء قالت الملائكة : صوت معروف ، ودعاء مستجاب ، وحاجة مقضية ! .

* * *

وقد أسند ثور عن خالد بن معدان ، وعن مكحول ، وعن عبد الرحمن بن جبير ، وعن يحيى بن الحارث وغيرهم — ومن الحجازيين عن سعيد بن المسيب ، وعطاء ، ونافع ، وغيرهم . . . ؛ وأكثرها أحاديث غريبة انفرد ببعض الرواة بروايتها عنه .

روى عن خالد عن أبي أمامة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله في الأرض آنية ، وأحب آنية الله إليه ما رق منها وصفا ، وآنية الله في الأرض قلوب العباد الصالحين » .

وعن خالد عن أبي الدرداء أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من سبق إلى الصلاة مخافة أن تسبقه أوجب الله له الجنة ، ومن تركها مأثرة عليها لم يدركها بعمل إلى الحول » .

وعن مكحول عن شداد بن أوس عن الرسول صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل : وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين ؛ إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي ، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي » .

وعن خالد عن مجاهد عن عمر بن الخطاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم « ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك . ابن آدم لا بقليل تقنع ، ولا بكثير تشبع . ابن آدم : إذا أصبحت معافى في بدنك ، آمنا في سربك ، عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء » .

وعن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان عنه صلى الله عليه وسلم « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب » .

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

وعن حبيب بن عبيد عن المقدام بن معدى كرب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه » .

وروى أن رجلا مدح ابن عمر رضى الله عنه فى وجهه فقال له : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « احثوا فى وجوه المداحين التراب » . . ثم أخذ ابن عمر التراب فرمى به فى وجه المادح .

وروى عن أبى المنيب ، قال : رأى ابن عمر فتى يصلى قد أطال الصلاة وأطنب فيها ، فقال : أيكم يعرف هذا ؟ فقال رجل : أنا أعرفه ، فقال : أما إنى لو عرفته لأمرته أن يكثر الركوع والسجود ؛ فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن العبد إذا قام إلى الصلاة أُتى بذنوبه كلها فوضعت على عاتقيه فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه »



المــداجاة

وذى إحنةٍ قد قلت أهلاً ومرحباً … له حين يلقانى تحيًا وزحبـا

وأعطيته من ظاهرى مَسحة الرضا … وقرّبته حتى دنا فتقـربا

فصُلْتُ به مستمكن الكف صولةً … شفيت بها أضغان من كان مغضبا

« عبد الجبار بن مساحق »

تونس المجاهدة

للشاعر الكبير الأستاذ محمد الأسمر

حَيٍّ في (تونسَ) شعباً عربيّا   هبَّ إعصاراً على الباغى عَتِيّا
خاضها شعواءَ ناراً ودماً   خاضَها مَوتاً مَشى فيهِ أبيّا
مَنْ يعِشْ منهم يعِشْ حُرًّا ومَنْ   مات منهمْ ماتَ موتاً قُدُسيّا
أيُّ شعبٍ خالدٍ في (تونسٍ)   روَّع الأعداء شيخاً وفتيّا
مَثَلٌ أعلى إذا الشرق اعتلى   سُلَّمَ المجدِ لهُ عاشَ عَليّا

* * *

يا (فرنسا) أنتِ أجريتِ دماً   طاهراً في (تونسٍ) حُرًّا زكيّا
إنها (جاندركُ) أخرى رفعتْ   لبنى الشرقِ لواءً (يعرُبيّا)[1]
وهى لا تحرقها النارُ وهَلْ   تحرق النيرانُ عزماً مَغربيّا
فاجعلوا فيها (مقيماً عسكريّا)   إن تشاءوا أو (مُقيماً مدنيّا)
فكلا الاثنين لا تبصرهُ   (تونسٌ) إلَّا عدوًّا أجنبيّا

* * *

يا (فرنسا) أنتِ أطغى دولةٍ   بَغيها دوّى على الشرق دويّا
يا فرنسا أنت وحشٌ فوقَهُ   باتَ فيه بدم الناس رويّا

---

(١) جان دارك ، هى المجاهدة الفرنسية التى حاربت الإنجليز دفاعاً عن وطنها ، وهزمتهم أكثر من مرة ، وكانت تحمل راية بيضاء ، ولكن الإنجليز ظفروا بها أخيراً وأحرقوها . وبعدها الكثيرون من الفديات .

أنتِ في (المغرب) ليثٌ هائجٌ هذه (الهندُ) إذا شئتِ فهيّا[1]
يا فرنسا هـــذه الهندُ فهيّا وأرينا البأسَ والعزمَ القويّا
يا فرنسا هـــذه الهندُ فهيّا لنرى مجْد فرنسا العسكريّا
كم تلقّيتِ عليها صـــفعةً ثم أخرى ، ثم آثرتِ المضيّا ؟ ! !

* * *

يا (بَني الشرق) وهذى تونسٌ نهضتْ فلينهض الشرقُ سويّا
طال عهـــدُ الشرقِ بالذُّلِّ فهل باتَ ذلُّ الشرق ذلاً أبديّا ؟ !
عَمِّمُوا (الثورةَ) في أرجائِه بكرةً في كُلِّ يومٍ وعشـــيّا
وكفاكمْ أنَّ من ماتَ بهـــا لقيَ اللهَ شهيـــداً وطنيّا
إن من ماتَ شهيـــداً وطنيّا كاد يلقى اللهَ في الحشر نبيّا

* * *

قُل لأمريكا إذا لاقيتَهـــا كانَ ما قلتِ لنا قولاً فريّا
يا لَهـــا شَـتّى وعودٍ صُنْعُتِها لشـــعوب الشرقِ صوغاً عبقريّا
ما لهُ في غمرةٍ لا تنجلي ؟ ! ما لهُ ما زال بالغرب شقيّا ؟ !

* * *

يا (بنى الغربِ) كفى ختلاً كفى لم يَعُدْ أمركمُ سِرًّا خفيّا
كم وعـــودٍ لكمُ ممطولةٍ أيُّكمْ كان مع الناس وفيّا ؟ !
إنمـــا أنتمْ جميعاً دولٌ تحكمُ العالمَ حكماً (قيصريّا)
ليس فيكم من يرانا أممـــاً كُلُّكمْ يطلبنا أكلاً شهيّا
أكذا (الإنجيل) قد علّمكم ؟! أكذا ما قلتمُ عنهُ (رُقيّا) ؟ !
نحنُ في الدُّنيـــا جميعاً إخوةٌ فاغرسوا فيهـــا الوداد الأخويّا
وأقيموا العـــدلَ في أرجائها يعش الـكلُّ بها عيشاً هنيّا

---

(١) المراد بالهند هنا (الهند الصينية) .

حقائق عن الإسلام

تميز طبيعته وتدفع الشبهات عنه

[استجابة لرغبة كثير من القراء ننشر النص العربى للبيان الذى قدمه رئيس التحرير باسم الإخوان المسلمين إلى مؤتمر الثقافة الإسلامى الذى عقد فى الولايات المتحدة فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ . وقد نشرنا النص الإنجليزى فى الأعداد من : الرابع حتى السابع من « المسلمون » هذا العام]

***

١ — مولد الإسلام مولد الإنسانية العليا :

لقد كان مولد الإسلام فى الحقيقة إعلانا قويا عن مولد الإنسانية العليا ؛ فالإسلام فى صميمه ثورة تحريرية كبرى شملت كل جوانب الحياة الإنسانية ، نابعة من ضمير الفرد ، ومتجهة إلى حياة المجتمع . ثورة حطمت فى طريقها كل القيود الروحية والعقلية والاجتماعية التى كانت تكبل الروح الإنسانى والحياة الإنسانية ، وأعلنت حقوق الإنسان كاملة ، وقادت البشرية منذ نيف وثلاثة عشر قرنا إلى الطريق اللائق ببنى الإنسان .

كان مولد الإسلام ميلاد ثورة فى عالم العقيدة ، خلّصت الضمير البشرى من الوهم والخرافة ، ونزهت الذات الإلهية تنزيها مطلقا عن الشرك والمشابهة ، وعقدت الصلة المباشرة بين العبد والرب دون ما وسيط يتحكم فى صلة الله بالعباد .

والربوبية المطلقة لله والصلة المباشرة بين الرب والعبد هى مفرق الطريق بين النظام والفوضى فى عالم العقيدة ، وبين الحرية والعبودية كذلك ، وليس هذا بالشىء اليسير إذا نحن تذكرنا ماعانته البشرية من سلطان الوسطاء بين الله والناس من الكهنة ورجال الدين ، وتذكرنا الاضطهادات للعلماء وأحرار الفكر فى القرون الوسطى ، وتذكرنا الثورات التى قامت فى أوربا لتحطيم سلطان من يدّعون الوكالة عن الله فى الأرض .

ومن ثم كانت حرية الفكر سمة أصيلة من سمات العقيدة الإسلامية ، لا يتحكم فيها أحد باسم الوساطة بين الله والناس ، ولا باسم الوكالة عن الله فى الأرض ،

فالإسلام لا يعترف بوجود هيئة أو طبقة دينية بالمعنى الذى عرف فى أوربا ، أو المعروف فى الهند والبلاد الوثنية عامة .

وكان مولد الإسلام ثورة فى عالم العقيدة فى اتجاه آخر . . ثورة على التعصب الدينى منذ إعلانه لحرية الاعتقاد والعبادة فى صورتها الكبرى :

« لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها »[1] .

« ولو شاء ربك لآمن مَن فى الأرض كلهم جميعا . أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين »[2] .

لقد تحطم التعصب الدينى لتحل محله السماحة المطلقة ، بل لتصبح حرية العقيدة وحرية العبادة واجبا مفروضا على المسلم لأصحاب العقائد السماوية الأخرى فى الوطن الإسلامى . وحينما شُرِع القتال فى الإسلام لأول مرة ، بيّن القرآن الكريم حكمة القتال فقال :

« أُذِن للذين يُقاتَلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أُخرِجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربّنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لَهدِّمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يُذكَر فيها اسم الله كثيراً »[3] .

والصوامع معابد الرهبان ، والبيع كنائس النصارى ، والصلوات معابد اليهود ، والمساجد مصليات المسلمين . وقد قدم الصوامع والبيع والصلوات فى النص على المساجد توكيداً لدفع العدوان عنها ، وتوفير الحماية لها .

لا بل بلغت السماحة حد توفير الحماية والأمن للمشرك الذى لايدين بدين سماوى مادام لا يؤذى المسلمين فى عقيدتهم ، ولايفتنهم عن دينهم ، فجاء القرآن :

« وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنَه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون »[4] .

(۱) البقرة : ٢٥٦ . (۲) يونس : ۹۹ .
(۳) الحج : ۳۹ ، ٤٠ . (٤) التوبة : ٦ .

وهى قمة فى السماحة ما تزال البشرية تتطلع إليها اليوم فى كثير من الأوطان ، ويكفى أن نعرف أنه لامكان فى الرقعة الشيوعية لمن لا يدينون بمذهب التفسير المادى للتاريخ ، ولا للذين يلحدون فى كارل ماركس ولينين !

كذلك كان مولد الإسلام ثورة على التعصب العنصرى ، فأعلن الإسلام عن وحدة الأصل الإنسانى ، ووحدة المستوى البشرى للأجناس جميعا ، وبذلك حطم طاغوت العنصرية البغيضة ، وقرر أن هناك مقياسا واحدا ثابتا للأفضلية ، لا يرجع إلى لون البشرة ، ولا إلى أصل المولد ، ولا إلى الوراثة أو النسب ؛ إنما يرجع إلى تقوى الله ، والعمل الصالح فى الحياة الدنيا ، وهى أمور شخصية لا علاقة لها بالأجناس والألوان :

« ياأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[١] .

« ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية »[٢] .

ولقد عاشت الأجناس والألوان واللغات فى الوطن الإسلامى فى سلام قرونا كثيرة منذ نيف وثلاثة عشر قرنا ، بينما المجتمعات الإنسانية التى لم تهتد بسماحة الإسلام ما تزال تعانى من التعصب العنصرى المقيت ، وما تزال مشكلة الملونين فى الولايات المتحدة وفى اتحادجنوب إفريقية تصدم الضمير البشرى وتخدشه بعنف . وقبل سنوات كانت فلسفة النازى تقوم على أساس امتياز العنصر الآرى . واليوم تقوم إسرائيل معتمدة على أسطورة الشعب المختار !

وأخيراً لقد كان مولد الإسلام ثورة على الفوارق الطبقية وعلى طغيان الحكام سواء ؛ ذلك أنه جرد الطبقات الحاكمة من كل امتياز ومن كل سلطان ذاتى ، ورد الأمر كله فى التشريع إلى الله ، ورد الأمر كله فى اختيار من يقوم على التنفيذ إلى الشعب .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) حديث نبوى أخرجه أبو داود فى سننه .

ولا بد من وقفة دقيقة تكشف عن عمق ما فى هذا النظام من ضمانات لا يحققها نظام آخر فى الأرض .

إن انتزاع حق التشريع ابتداء من البشر ، ورده إلى الله وحده سبحانه ، لم يبق لواحد من البشر ، أو لجماعة ، أو لطبقة ، مجالا للتحكم فى الآخرين ، ولا منفذا يملو به فرد على جماعة ، أو طبقة على طبقة .

أن الحاكمية أصلا لله ، وليس لغيره أن يشرع ابتداء ، إنما يقوم البشر بالتطبيق والتنفيذ والله رب الجميع ، وإذن فلن تكون فى تشريعه محاباة ، ولن يحس أحد أنه حين ينفذ القانون خاضع لمشيئة أحد . ومن ثم تتساوى الرؤوس ، وترتفع الهامات ، لأنها لا تعنو جميعا إلا لله الواحد القهار .

أما من يقوم على تنفيذ التشريع ، فهو يستمد سلطانه فى هذا من اختيار الأمة له . والطاعه المفروضة ليست لشخصه، إنما هى لشريعة الله التى ينفذها ، ويسقط حقه فى الطاعة إذا تعداها .

وبذلك يقف النظام الإسلامى فريدا فى تحقيق المساواة المطلقة والعدالة المطلقة ، وفى تحطيم كل ظل لطغيان السلطان الفردي أو الطبقي ، أو سلطان الدولة بصفة عامة . ذلك السلطان الذى تمثله سلطه التشريع فى النظم الأخرى .

٢ — شريعة التكافل :

أما الحياة الاجتماعية فقد أقامها الإسلام على أساس التكافل الاجتماعى . ووضع لهذا التكافل التشريعات المنظمة التي تبين طبيعته ووسائله . ولكنه اعتمد أولاً على تربية الضمير الفردى ، وعلى غرس البذرة الأخلاقية فى الكيان الإنسانى .

ولقد اعتاد الكثيرون عندما يتحدثون عن التكافل الاجتماعى ، ودور العقيدة الدينية فيه أن تخطر ببالهم كلمات : الإحسان والصدقة والبر . وعلى الأكثر كلمة الزكاة .

ولـكن هذه الـكلمات ، وما وراءها من مدلولات ، وما حولها من صور وظلال ، لا تمثل حقيقة الدور الذى تقوم به العقيدة الإسلامية فى حقل « التـكافل الاجتماعى » .

إن التـكافل الاجتماعى فى الإسلام نظام اجتماعى كامل ، بكل ما يحمله اصطلاح « نظام اجتماعى » من مدلول ، فهو لا يعنى مجرد المساعدات المالية — فى كل صورها — كما تعنى مثلا اصطلاحات « الضمان الاجتماعى » و « التأمين الاجتماعى » فالمساعدات المالية نوع واحد من المساعدات التى يعنيها التـكافل فى الإسلام .

لقد عنى الإسلام بالتـكافل الاجتماعى أن يكون نظاما لتربية روح الفرد وضميره ، وتنمية مواهبه الخاصة واستعداداته للعمل والإنتاج ، وأن يكون نظاما لتـكوين الأسرة وتنظيمها وحمايتها ، وأن يكون نظاما للعـلاقات الاجتماعية ، وأن يكون فى النهاية نظاما للمعاملات المـالية ، والعلاقات الاقتصادية التى تسود المجتمع الإنسانى .

وهكذا ترى أن مدلولات البر والإحسان والصدقة — وحتى الزكاة — تتضاءل أمام هذا المدلول الشامل للتـكافل الاجتماعى كما عناه الإسلام ، وكما طبقه فى واقع الحياة فى يوم من الأيام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لقد بدأ الإسلام فجعل التـكافل علاقة تربط بين المرء ونفسه ، فجعل الفرد مسئولاً عن نفسه أمام الله ، مسئولا عنها أن يزكيها ويطهرها ، وأن يمتعها بالطيبات ويصدها عن الخبائث ، وأن يمنحها حقها من العمل والراحة ، فلا يدعها تترهل من البطالة ، أو تنهك من الإجهاد .

ذلك التـكافل بين المرء ونفسه نظام تربوى ، يوقظ ضمير الفرد وحساسيته ، ويثبت شخصيته وإرادته . والحرية والتبعة هما قوام الشخصية المستقلة ، وهو تـكافل فردى فى ظاهره ولـكنه فى حقيقته تـكافل اجتماعى على المعنى الواسع الذى يعنيه الإسلام . ذلك أن تربية الفرد على هذا النحو إنمـا هى إعداد له فى ميدان الحياة الاجتماعية . ولهذا التهذيب نتائجه فى السلوك الاجتماعى والإنسانى .

بعد ذلك ينتقل الإسلام بالتكافل من ضمير الفرد إلى محضن الأسرة . فيقيم هذا المحضن على أسس وطيدة من التكافل ، الذى يتعادل فيه الغنم والغرم ، وتتناسق فيه الحقوق والواجبات . والأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ، فإذا أقيم بناؤها على أساس التكافل خفت الأعباء الاجتماعية على الدولة ، لأن قسطا كبيرا منها يمكن أن يتم فى سياج الأسرة .

هذا التكافل فى الأسرة ليس مجرد تكافل اقتصادى ، إنما هو تكافل إنسانى كامل ، يشمل واجب الحماية للأمومة ، وواجب العناية بالأطفال ، وإعدادهم للحياة جسميا وعقليا وروحيا ، وواجب الرعاية للآباء والأمهات عند الكبر والهرم . . . إلى جانب التكاليف المادية التى تقوم عليها الأسرة .

وحماية للأمومة ، ولكى يهيىء الإسلام للبيت جوه ، وللطفولة الناشئة فيه رعايتها ، أوجب النفقة على الرجل ، وأعفى منها المرأة ، كى يتاح للأم من الوقت والطاقة ما تشرف به على الفراخ الزغب فى العش المطمئن ؛ فالأم المكدودة بالعمل ، المرهقة فيه بمقتضياته ، والمقيدة بمواعيده ، لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره ، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها . وبيوت الموظفات والعاملات أشبه شىء بالفنادق ، لا يشيع فيها ذلك الأرج الذى يشيع فى البيت . فحقيقة البيت لا توجد إلا أن تخلقها المرأة ، وأرج البيت لا يفوح إلا أن تطلقه زوجة ، وحنان البيت لا يشيع إلا أن تتولاه أم . والمرأة أو الزوجة أو الأم التى تقضى وقتها ، وتنفق جهدها ، وتبدد طاقتها فى العمل ، لا تطلق فى جو البيت — غالبا — إلا الإرهاق والكلال والملال .

إن الإسلام لا يحرم العمل على المرأة ، ولكنه لا يفرض عليها العمل كما يفرض على الرجل ، نظراً لهذه الاعتبارات ، ورغبة فى تحقيق التعادل بين الرجل والمرأة فى أعباء الحياة .

وهو يكفل لها حقها فى العمل حين تشاء ، وحقها فى الكسب ، وحقها فى الميراث ، وحقها فى التصرفات المالية بلا قيد ، وحقها فى اختيار شريك حياتها كما تحب ، وحقها فى طلب فصم عقدة النكاح حين تتعذر الحياة .

فإذا انتقلنا من محضن الأسرة إلى محيط الجماعة ، وجدنا التكافل الاجتماعى

يشمل كل العلاقات الاجتماعية ، ولا يقف عند حدود المال والاقتصاد .

هنالك تكافل بين الفرد والجماعة ، وبين الجماعة والفرد ، يرتب تبعات متبادلة على كلٍّ منهما ، كما يرتب حقوقا متبادلة تقابل هذه التبعات ، والإسلام يبلغ فى هذا التكافل حد التوحيد بين المصلحتين ، وحد الجزاء والعقاب على تقصير أيّ منهما فى النهوض بتبعاته .

كل فرد مكلف أن يحسن عمله الخاص ، لأن ثمرة عمله عائدة على الجماعة ، وأن ينهى نفسه عن المنكر وأن ينهى سواه ، وأن يرعى حرمات الجماعة ويجاهد فى سبيل صيانتها ما استطاع .

ولكل فرد على الجماعة — أو الدولة النائبة عن الجماعة — حقه فى الإعداد للعمل علميا وعمليا ، وفى تيسير العمل وكفالته للقادرين عليه .

ولكل عامل الحق فى أن يجد مسكنا مناسباً يقيه الحر والبرد والمطر وعيون المارة ، وأن يجد ملبسا مناسبا يقيه حر الصيف وبرد الشتاء ، وأن يجد طعاما مناسبا يحفظ عليه حياته وطاقته ، وأن يجد أداة للانتقال حسب الميسر من أدوات الانتقال فى كل عصر . فإذا شاء أن يتزوج أعانته الدولة إن لم يكن لديه ما يكفى لتلبية هذه الحاجة الفطرية ، وكف نفسه عن التطلع إلى الحرام .

والفرد مؤاخذ ومسئول إن هو قصر فى التزاماته ، والجماعة مؤاخذة ومسئولة إذا هى قصرت فى التزاماتها للأفراد .

ومن هنا نرى أن التكافل الاجتماعى فى الإسلام ، ليس نظام إحسان وصدقة إنما هو نظام إعداد وإنتاج ، تنشأ عنهما الكفاية الذاتية للقادرين ، فأما العاجزون عجزا جزئيا أو كليا مؤقتا أو دائما فهم الذين تخصص لهم موارد الزكاة والصدقات .

إن الزكاة ليست سوى قاعدة واحدة من قواعد التكافل الاجتماعى الكثيرة ، وهى ليست إحسانا فرديا متروكا لوجدانات الأفراد وتقديرهم الذاتى ، إنما هى حق تأخذه الدولة وتقاتل عليه ، وتنفقه الدولة فى مصارف تشبه إلى حد كبير مصارف « الضمان الاجتماعى » و « التأمين الاجتماعى » مجتمعين . مع الأخذ بنظام اللامركزية ؛ فزكاة كل إقليم تنفق أولاً فى حوائجه ؛ فإذا فضل منها شىء رد إلى بيت المال العام للإنفاق منه على سائر سكان الوطن الإسلامى ، بلا تفريق بين الأديان والألوان !

« البقية فى العدد القادم »

في أفق العالم الإسلامي

* في غرب أوروبا

* فلسطين

في غرب أوروبا

جاءتنا هذه الرسالة من الجماعة الدينية الإسلامية في غرب أوروبا بميونيخ :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد . باسم الأخوة الإسلامية ، نتشرف بأن نعرض عليكم ما يلي ، بينما الألم العميق يحز في نفوسنا إلى حد بعيد :

لقد هاجر الألوف من المسلمين من أوطانهم الأصلية في التركستان وأذربيجان والقفقاس وغيرها من مناطق آسيا الوسطى ، وكذلك من معظم بلاد البلقان ودول أوروبا الشرقية ، وذلك بعد أن وقعت بلادهم بين براثن الوحش الشيوعي السفاح ، الذي أخذ اليوم يهدد جميع القيم البشرية والثقافة وكل نواحي المدنية ، ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية . لقد اضطر هؤلاء المسلمون إلى ترك أوطانهم ، بعد أن قضوا عشرات من السنين في الصفوف الأولى ، مجاهدين في سبيل حرية وحماية دينهم وتراثهم الإسلامي . ويوجد الآن عدد كبير منهم في ألمانيا الغربية يبلغ ثلاثة آلاف مسلم ، استوطنوا هنا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية ، بعد ما رفعوا لواء الجهاد المقدس ضد البلشفية أثناء تلك الحرب ، متخذينها فرصة لوضع حد نهائي للاضطهاد الديني والعبودية جسما وروحا . إن سجل كل واحد من هؤلاء المسلمين حافل بالمجيد من الأعمال المشرفة ، سواء كان ذلك في النضال أو التضحية أو حماية معتقده الديني : معتقد آبائه وأجداده . إن كل واحد منهم مصمم على حفظ معتقده هذا سالما صحيحا معافى .

إن حالة المسلمين هنا ليست بالتي يحسدون عليها أبدا في الواقع . فهم منذ عام ١٩٤٥ في نضال مستمر لحفظ بقائهم كمسلمين ولمنع فنائهم التام أو الجزئي . لقد نجوا من هلاك محقق على أيدي الشيوعيين المجرمين ، الذين محوا الملايين — نكرر الملايين — من إخوانهم ، الذين بقوا تحت رحمة الشيوعيين بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك كعقاب لهم على عدم إخلاصهم ومقاومتهم المكشوفة للنظام الشيوعي أثناء تلك الحرب . وإنه لمن المؤسف جدا حقا أن تكون هذه الحقيقة الرهيبة مجهولة في العالم الإسلامي ، أو على الأقل ، فإن خطورتها وفظاعتها غير مقدرتين التقدير الكافي كما هو مشاهد وملاحظ .

وفي نفس الوقت ، يوجد في ألمانيا الغربية كذلك ، الكثير من الفارين من جحيم الشيوعية غير المسلمين . ولكن حالة هؤلاء لا تقاس أبدا مع حالة المسلمين من كل الوجوه : إنهم

يتلقون العون ، بشكل منظم ومنتظم ، من كل جهة ومن مختلف الهيئات والمنظمات ، المحلية والعالمية على السواء ، وهذه بدورها تحرم المسلمين على أساس دينى ، من كل الإمكانيات المقدمة لغير المسلمين . إن هذه الإمكانيات تقدم فى القالب تحت أسماء مختلفة ، ولكنها فى الواقع مبنية على أساس دينى صرف .

إننا نشعر هنا ، وكأننا يتامى ، لا ولى لنا ولا ناصر ، لا منظمات لنا ولا أصدقاء ، مع أننا جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامى الواسع . إننا فى أمس الحاجة إلى كل تأييد معنوى ومادى ، حتى نتمكن من القيام بواجباتنا المقدسة تجاه الله والدين الحنيف . إننا هنا محرومون من أى تعليم دينى أو إرشاد أو قيادة ، والمعنويات آخذة فى التدهور لدرجة خطيرة ، وفوق هذا وذاك ، فإن اليأس قد أخذ ينشر ظلاله السوداء المقيتة فوق العقول والنفوس ، اليأس من جدوى الأخوة فى المسلمين اليوم ، ومن كونهم أمة واحدة وجسما واحداً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وسبب ذلك أن هذه ليست هى المرة الأولى التى نوجه فيها النداء والاستغاثة . فهل يرضى الضمير الإسلامى أن يرى هذا التطور السلبى ويبقى ساكنا غير تاثر ؟ ؟ ؟

ولكن رغم كل ذلك ، فإننا ما زلنا على العهد أمينين ، وما زلنا نتابع النضال على الطريق الشائك الصعب . إننا مسلمون ونريد أن نعيش فى الإسلام وأن نموت فيه وفى سبيله . إننا نريد أن نورث أبناءنا وأحفادنا هذا الكنز الثمين ، الذى ورثناه عن آبائنا وأجدادنا ، إنه دين نبينا العربى العظيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

ولذلك ، فقد اتفق عدد من المهتمين والغيورين على دينهم فاجتمعوا وقرروا تأسيس جمعية إسلامية ، هى الآن مسجلة رسميا فى مدينة ميونيخ . ولكن رغم مضى أكثر من عام على التأسيس ، فإننا لم نتمكن بعد من إيجاد مكتب خاص لنا ، فنحن منظمة بلا مأوى الآن ، ومعلقة بين السماء والأرض .

إن غرض الجمعية الأساسى هو إحياء الدين وتقويته بين المهاجرين الذين يجب إنقاذهم من خطر التدهور المعنوى واليأس .

وفيما يلى طائفة من أهدافنا التى نبغى بإذن الله تحقيقها : —

١ — توسيع المسجد البسيط جدا والذى أقمناه من الخشب هنا والعناية به ، وإن أمكن إقامة مسجد فى كل مكان يوجد فيه مسلمون .

٢ — تلقين الأطفال والكبار على السواء التعاليم الدينية وإقامة المدارس لتدريس كتاب الله العزيز .

٣ — طبع ونشر الكراريس عن الإسلام لنشره وتقويته وإلقاء المحاضرات عنه وعن تاريخه المجيد .

٤ — العناية بالمرضى واليتامى والفقراء ودفن موتانا ... الخ .

٥ — تأسيس جريدة تنطق باسم الجمعية ؛ ولا تخفى أهمية ذلك فى جمع وتقوية الصفوف .

٦ — العمل على إيجاد مقر محترم للجمعية يتفق مع مركز وكرامة ديننا ولا سيما ونحن نمثله هنا فى الواقع .

٧ — العمل على إيجاد قطعة من الأرض تكون مقبرة خاصة بالمسلمين . إن أماكن كهذه هنا هى بالأجرة فقط . فمثلا ، نحتاج إلى مبلغ خمسة آلاف مارك ألمانى أجرة قطعة الأرض لمدة

سبع سنوات . ولا ندرى كيف ومن أين ندبر هذا المبلغ ، إذ أن دخل أفراد الطائفة محدود جدا . والكثير منهم يتلقى راتب البطالة الضئيل جدا من مكتب العمل الألمانى ، وهو لا يكفى حتى لحفظ البقاء .

إن هدفنا الأساسى هو خدمة الله ودينه الحنيف ، ولكن هذا صعب المنال ما دمنا فى مثل هذا الوضع معزولين ومهملين . فإلى أين ولمن نتجه ونتوجه لطلب العون والتأييد ؟ ؟ ؟ ليست لدينا أية مصلحة خاصة أو شخصية فى كل ذلك ، وإن أعمالنا وبرامجنا مفتوحة لكل من يريد التدقيق والمحاسبة . إننا قد تركنا أوطاننا وكل غال ونفيس بسبب الاضطهاد الدينى ، آملين أن نتابع النضال من الخارج . إنه لمن المستحيل تعويض الوطن الغالى بثروة الدنيا بأسرها ، هذا الوطن الذى يئن الآن ويتألم تحت وحشية الشيوعيين ، وينتظر الخلاص والتحرر ، اللذين كرسنا لهما حياتنا ، حتى نتمكن أخيرا من القيام بشعائر ديننا بكل حرية وبالشكل الذى نريد .

إننا نكتب إليكم الموقر على أمل ويقين بأن روحكم الإسلامية ستثور على ما هو عليه إخوان لكم من صعوبات ومخاطر . إننا نتوجه إليكم راجين العون والإنقاذ : إنقاذ طليعة إسلامية مجاهدة فى قلب أوروبا .

إن هذا النداء ، كما هو موجه إليكم ، هو أيضا موجه إلى كل مسلم ، وليس هناك من مانع من نشره وإعلانه . وتأكدوا بأن المهمة المقدسة التى تكرسون جهودكم الآن من أجلها ، ألا وهى إنقاذ الأرض المقدسة فلسطين ، هى أيضا مهمتنا ، وسنكون أول من يلبى داعى الجهاد فى هذا السبيل . إننا نتوقع وننتظر ونرجو من أعماق قلوبنا الدامية عملا حاسما وسريعا ، ونحن بانتظار جواب من حضراتكم على أحر من الجمر حتى نعرف الرأى والنصح والإرشاد .

* * *

ثم جاءتنا الرسالة التالية من الجمعية نفسها : —

« لقد فاتنا أن نذكر فى ندائنا المشار إليه بأنه يوجد عندنا فى الوقت الحاضر حوالى (٥٠٠) طفل من آباء مسلمين وأمهات غير مسلمات . وإنه لمن دواعى الألم الشديد جدا أن نقول بأن هؤلاء الأطفال يتبعون فى هذه الآونة معتقدات أمهاتهم الدينية . وسبب ذلك هو عدم وجود الإمكانيات عندنا لجمعهم وتثقيفهم بالروح الإسلامية ، ولا عجب فى ذلك فى وقت يحتاج فيه آباؤهم أنفسهم إلى ذلك . ولا ندرى هل يقبل الضمير الإسلامى هذا الوضع الشاذ الغريب ! إن هؤلاء الأطفال يجب إنقاذهم قبل فوات الأوان ، « والسلام على من اتبع الهدى » .

الرئيس

(إبراهيم قاجا أوغلو)

* * *

و « المسلمون » تناشد المسلمين جميعا أن يبادروا إلى معونة إخوانهم بما يستطيعون ، وتخص فى ذلك الهيئات والأشخاص القادرين ، وعنوان الجماعة فى ألمانيا هو :

MUSULMANLARIN BATI AVKOPADAKI
MUNCHEN 54 ACHATSTRASSE 4
Germany

فلسطين

١ — الولايات المتحدة تبنى إسرائيل :

وضعت البعثة الأميركية للمساعدات فى إسرائيل تقريراً عن نشاطها وأعمالها وأثر المساعدات الأميركية فى بناء إسرائيل .

وجاء فى مقدمة التقرير أن أعمال بعثة المساعدات الأميركية فى إسرائيل ذات ثلاث شعب متشابكة مترابطة هى : —

١ — المساعدات ٢ - الهبات ٣ - المساعدات الفنية .

وقال التقرير إن أعمال كل شعبة مرتبطة بالأخرى إلى أقصى حدود الإمكانية لأن هذا التدبير قد برهن على أنه يساعد على مجابهة المشاكل الاقتصادية فيكون كل برنامج قد أكمل الآخر وسانده فى عملية التنفيذ .

فالمساعدات تقدم ثمن المواشى والآلات . والهبات لسد نفقات ما يشترى ويصرف محلياً ثمن بضائع وأجرة عمل . والمساعدات الفنية تهتم بإيجاد وجلب وتأمين أجور الفنيين وتعليم السكان على الأعمال.

المساعدات : تقول البعثة فى تقريرها إن سياستها الرئيسية كانت أن تحفظ اقتصاديات إسرائيل من الانكماش والانهيار بسبب نقص العملات الأجنبية الصعبة ، ولقد كان للبعثة أربعة أهداف هى : —

(ا) المحافظة على سمعة إسرائيل بالعمل على عدم وقوعها فى عجز عن دفع ديونها الخارجية وقد قدمت البعثة لإسرائيل ٣١ مليون دولار عام ١٩٥٢ و ٣١ مليون دولار عام ١٩٥٣ .

(ب) الحيلولة دون تدهور مستوى المعيشة مما قد يسبب الفوضى فى إسرائيل .

(ج) شراء البضائع التى تساعد على زيادة الإنتاج وإسكان اللاجئين اليهود .

(د) مساعدة إسرائيل على تركيز سياسة مالية سليمة وارتباطات صحيحة .

الهبات : يقول التقرير إن الأموال التى حصلت عليها إسرائيل من الهبات الأميركية بلغت حوالى ٣٠ مليون دولار عام ١٩٥٢ و ٣٧ مليون دولار عام ١٩٥٣ . وقد استهدف برنامج الهبات ثلاثة أمور : —

(ا) الحد من المدفوعات التى تسبب التضخم فى إسرائيل .

(ب) تمويل المشاريع العمرانية الأساسية التى لها علاقة بمدفوعات الدولار والمساعدات الفنية .

(ج) معاونة الحكومة على تقوية سياستها المالية الداخلية :

المساعدات الفنية : أما المساعدات الفنية — النقطة الرابعة — فتخدم عددا من الأهداف الرئيسية ، إنها وسيلة ذات نتائج طويلة الأمد فى مساعدة إسرائيل على عدم الاعتماد على الخارج فى التمويل عن طريق تحسين الزراعة والصناعة وزيادة الإنتاج فى الحقول العملية الأخرى .

وهكذا تبنى الولايات المتحدة « إسرائيل » عن طريق المساعدات والهبات والقروض والفنيين والتمويل ، وزيادة الإنتاج الزراعى والصناعى ، وتأمين السوق التجارية الخارجية ، والمحافظة عليها وعلى سمعتها بتسديد ديونها ، إنها تساعدها فى كل شأن من الشئون وبكل وسيلة ممكنة . إن إسرائيل ما كانت لتعيش شهراً واحداً لولا الولايات المتحدة التى تدعى صداقة العرب والمسلمين .

٢ — أنباء متفرقة :

* نزل فضيلة المرشد العام أثناء وجوده بالأردن ضيفا على المؤتمر الإسلامي بالقدس وكان برافقه فى جولاته فى الخطوط الأمامية الأمين العام للمؤتمر الأستاذ سعيد رمضان والأستاذ كامل الشريف عضو المكتب الدائم ·

وقد أجاب فضيلته حين سئل فى بعض البلاد عما يمكن عمله لقضية فلسطين بقوله : « اتصلوا بالمؤتمر الإسلامى وأعينوه بأموالكم حتى يؤدى مهمته »

* أعلن رسميا أن حكومة إسرائيل قد اضطرت إلى أخذ قروض من البنوك المحلية لدفع معاشات موظفيها، وقد بلغت هذه الديون حتى الآن ثمانية وعشرون مليون دولار وربع المليون من الدولارات · وكانت الحكومة تسحب هذه الأموال من البنوك شريطة أن تسددها فى الحال ولكنها لم تفعل ذلك

* اجتمع المكتب الدائم للمؤتمر بعد الحوادث الأخيرة وقرر التوسع فى تحصين القدس وإنشاء وسائل الوقاية للمدنيين ، وقد أصدر المكتب بيانا أعلن فيه بمناسبة أحداث القدس الأخيرة أنه ماض فى خطته الإعدادية فى صمت وأن الأموال التى وردت إليه حتى الآن — على قلتها — لا تصرف إلا فيما ينفع ، وقال البيان : لقد علمتنا التجارب ان لا نعتمد بعد الله إلا على أنفسنا وأن السلام لا قيمة له ·

* عقد الإخوان المسلمون مع فرع المؤتمر الإسلامى بالقاهرة إجتماعا عاماً فى العاصمة المصرية على أثر العدوان اليهودى الأخير على مدينة القدس وقرروا فيه دعوة الشعوب العربية والإسلامية لتعبئة جميع قواها وإمكانياتها لدرء الغزو اليهودى ومطالبة الحكومات العربية والإسلامية بإرسال قوات عسكرية للدفاع عن فلسطين وحماية القدس وتسليح الفلسطينيين ليساهموا فى الدفاع عن وطنهم ·

* ازداد تحليق الطائرات اليهودية خلال الاسبوع الماضى فوق القدس والخليل ونابلس وجنين بصورة غير عادية·

* منعت إسرائيل كثيرا من العائلات اليهودية من العودة الى الجمهورية الرومانية ·

* جاء فى جريدة دافار اليهودية أنه علم من أوساط وزارة الخارجية فى القدس أن إمبراطور الحبشة (هيلا سيلاسى) قرر دعوة حكومته إلى الاعتراف بإسرائيل وإنشاء علاقات دبلوماسية معها · لقد كان النجاشى يشعر دائما شعورا قلبيا مع إسرائيل ، ولكن الضغط العربى ، وخصوصا من جانب مصر ، هو الذى منعه من اتخاذ هذه الخطوة حتى الآن ·

ما رأى المسئولين فى الحكومات العربية ودعاة الصداقة مع الحبشة ؟ !

* أشيع أن إيران تفكر فى الاعتراف بإسرائيل أيضاً ·

The cure

A few minutes earlier I told you what the Muslims need to-day is a fresh Divine cry, "Back to God, Muslims everywhere." Such a cry in this materialistic age will be most assuredly as effective as it was 13 centuries back, when our dear Prophet, peace be on him, cried in Mecca:

فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ .

"Therefor flee unto Allah; I am a plane warner unto you from Him. And set not any other god along with Allah. I am a plane warner unto you from Him."

If such a cry was strange then, it shall appear to be strange now, God says:

وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً .

"God has promised such of you as believe and work righteous deeds that He will surely make them to succeed (the present rulers) in the earth even as he caused those who were before them to succeed (others) and that he will surely establish for them their religion which He has approved for them, and that he will give them in exchange safety after their fear."

God's promise is clear, and God does not hold out false promises. If we believe in the Quran, then, let us try. Let us begin with ourselves and call upon others to adopt the faith and act according to its behests most sincerely and honestly. Let us submit to the commands of God and God most assuredly will fulfil his part of the promise. It may be a heavy task but is it not worthy of its performance? God says:

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

"Who is better in speech than him who calls men to God, acts works righteously and says: I am of those who surrender (unto Him)."

(to be continued)

turns to God, God never gives you up. When Heaven is your aim, nothing can turn you back. You become irresistible in your spirit and no amount of clay can conquer you. Yes, dear brother, it is a matter of quality and not quantity. The small lamp in your room defeats a large amount of darkness. That is why God's constant advice to his Apostle was continuously to remind himself of the truth he was holding and serving:

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ .

"So put thy trust in God: for thou art on the path of manifest truth."

and,

فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

"So hold thou fast to the Revelation sent down to thee, verily, thou art on the straight path."

The hope that never could be conquered in any trouble or crisis was always shining through such injunctions:

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

"That is because God is Truth, and because whatever else they invoke besides Him is falsehood, and because He is the Most High and the Most Exalted."

Dear brother, that was our Prophet, peace be on him, and that was his message for which he offered his whole life without one day rest or one minute despair .... He died after completing his mission and left for us a sacred inheritance. On the day of Judgement we shall be asked to render an account of the way we used or abused this sacred inheritance. Are we prepared for the day when God shall say:

وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ .

"And stop them, for they must be questioned."

How long shall we allow this heritage to suffer an eclipse through our perpetual laziness, and disgraceful preoccupation with earthly lusts?

at the door ! Are they not sufficient to prove the folly of the leading powers and to stir up the true soldiers of God in this earth to lend the suffering humanity a hand, that can offer it the Divine elixir of life free from darkness, shallowness and debasement.

Remember Prophet

Yet such a life and light did come to illuminate the life of man when the Prophet Mohammad, peace be upon him, started his Jihad.

Imagine the surroundings of the Holy Prophet. The power of Rome on the left and the power of Persia on the right and the scattered Arab Tribes absolutely ignorant and passionately devoted to the darkness they had inherited from the past ! His task was to captain the whole earth with the Divine Message revealed to him. It was a very heavy task indeed. How to face circumstances so dark as these and assert the beauty and truth of a message in direct conflict with their understanding and with the very foundations of their life and conventions? It was not a revolution against a throne or a State for establishing his own supremacy. No, it was a revolution against the mean qualities and evil tendencies ingrained in all hearts and minds. It was a revolution against the temper of selfishness and the spirit of materialism which soils the glory of life. When he succeeded to be the symbol of his revolution and to have a firm faith, and an unquenchable love for truth he could illuminate all his surroundings in a few years. He could draw out from "Abu Bakr," a humble trader in Mecca, the Governor who sent eleven armies in one day to defend the poor when some of the rich refused to pay "Zakat"; and remarkably enough this has been the only occassion in history when a Government stood by the poor against the capitalists with such a firm resolve. From Omar Ibnul Khattab, a man who before Islam used to prostrate himself before an idol of dates and then to eat them, the prophet of Islam could bring out Omar who has been characterised by the enemies of Islam as the man who never committed a fault. Amr Ibnul Aas, a humble butcher in Mecca before Islam, could turn out to be the Conqueror of Egypt. Such was the revolution of Mohammad "may peace be on him" which converted the desert into a lusty garden of human giants. It was very soon, therefore, that the Romans and Persians were compelled to bow before these Divine rebels fired with truth and fighting with an unconquerable sword. When your heart

WHAT ARE YOU ?

By the Editor

— 8 —

We are commonly in the habit of blaming the Western Powers for the ruthlessness with which they have exploited us. But to me this is only a way to shirk our own responsiblity. Amir Abdul Karim Alrifi gave me a more convincing explanation of that. He said "Let us not think that all the fault lies with the Western Nations in spoiling the East. We were the rulers, when we came to be degenerated we offered favourable opportunities of aggrandisement to the West. Nursing our own weakness how long would we have expected to enjoy the absence of a formidable foe ? We allowed ourselves to be exploited by natural enemies." Such is the bitter truth and we must face it with grief and shame.

What to do ?

What Muslim need to-day is a fresh divine cry to call upon them "Back to God : Muslims everywhere" — A fresh divine light, pure and clear, rising from the depths of a sincere heart. High sounding words, argumentative debates, huge demonstrations, pompous processions and thundering slogans are absolutely ineffective as far as real constructive work is concerned. They do more harm than good. We have practised them enough already. The magical effect they are supposed to exercise is nothing more than our own temporary delusion. They are yet another proof, and a palpable one, of the barrenness of all unbased efforts. Our solution lies somewhere else. It lies on the basis of social life itself. The diseases that humanity suffers from are nursed within the heart and the mind of man himself. The knot of all problems of man is this : God is neither realized in hearts nor recognized in mind, nor conscientiously striven for in acts.

Such a knot cannot be unbound but with belief, true belief that can conquer the self of man and thus sweep the whole earth. Every other sort of effort is a more mirage, a delusion, persistently deceiving humanity, misguiding innocents, and cheating the very aspirations and dignity in man. Two terrible wars in no more than twenty years, and the third .... the awful third knocking

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد التاسع

صفحة

مطابع دار الكتاب العربي بمصر